موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٤٢)

العفو

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٢٢٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٢)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٢٢٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٢)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
العفو لغة	٧
العفو اصطلاحًا	٨
قيمة العفو وأهميته	٩
نظرة العرب للعفو	١٣
الألفاظ المرادفة للعفو في كلام العرب	١٤
العفو في السنة	٢٤
العفو في الشعر العربي	٣٠
العفو في أمثال العرب وحكمهم	٥٠
فضيلة العفو والترغيب فيه	٥٨
تطور مفهوم العفو	٦٥
آثار العفو ونتائجه	٧٥
ما السبيل إلى تأصيل العفو في نفوس الأجيال القادمة؟	٨٢
الفهارس	٨٥

موقع الكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

العفو قيمة من القيم العربية الأصيلة الرفيعة، ومكرمة من المكارم العظيمة، وفضيلة من الفضائل الموروثة التي عرفها أجدادنا، وتخلّقوا بها منذ وجد العرب على هذه الأرض.

وحَرِيٌّ بنا أن نتمثل هذه القيمة، ونحافظ عليها، ونجعل لها مكانًا رحبًا في القلوب، لنغلب بها نزعة الغضب والحمق، وننزع بنتائجها المرجوة، سخائم الصدور وحقد القلوب وما ترتع به النفوس في هذا الزمن من عصبية ونزاع كادت معه تنسى هذا الخلق الكريم.

جاء الإسلام ولّما تزل مكانة هذه المنقبة الخلقية، وأثرها في حياة العرب ودورها الخطير في جمع القلوب، وتآلف النفوس، فدعا إليها، وسعى إلى تأصيلها في نفوس الناس، لما فيها من الكمال الخلقي، ولما لها من أثر محمود في حياة الفرد والجماعة، فإذا عفا المحسن عن المسيء، وسيد العشيرة عن ذوي رحمه فيها، والرئيس عمن هم دونه، تحققت صورة المجتمع الرؤوم العافي.

لقد تأصل العفو خلقًا لدى العرب الجاهليين، فصار طبعًا في نفوس كريمة منهم، واستمروا على هذه المنقبة إلى أن جاء الإسلام، وأكد بتعاليمه السامية هذه القيمة، وحث الله عليها في كتابه العزيز، من ذلك قوله؛ يخاطب نبيه الكريم قائلاً: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[1]. ولم تكن السنة المطهرة بعيدة عن التأكيد على هذه القيمة، وعن الدعوة إليها، وما أكثر الأحاديث التي جاءت بذلك، وما أكثر أقوال الحكماء الذين نصحوا بالعفو وبينوا فضائله.

---

[1] سورة آل عمران: ١٥٩.

www.mtenback.com

ومن ذلك الوصايا التسع التي أوصى الله نبيه بها، ومنها «... وأن أعفو عمن ظلمني»[٢].

ولم يكن خلفاء رسول الله ﷺ بعيدين عن هذه المنقبة، بل كانوا يقتدون بنبيهم الكريم في العفو والصفح والتجاوز عمّن أساء إليهم.

وجاء خلفاء بني أمية وبني العباس ومن بعدهم فأكدوا تمسكهم بهذا الخلق الكريم قولاً وعملاً، وساروا في حياتهم سيرة لم تكن بعيدة عن هذه الفضيلة التربوية العظيمة، أو مجانبة لها.

وفي العصور التالية تابع الخلفاء والقادة والولاة سنن من كان قبلهم في الأخذ بالعفو فيما يعرض لهم من أمور حياتهم مع الناس.

ولم يكن العفو فقط شأن الحكام، بل صار خلقًا وسلوكًا عربيًا وإنسانيًا يسير عليه فضلاء الناس، ويتحلون به، وينعم به الناس كافة.

وقد رسخ هذا كله فضيلة العفو، وجعلها من القيم الاجتماعية المتوارثة فيما بين الناس، يَتَعَلَّمُها المتأخر من أخلاق المتقدم، ويأخذها اللاحق عن السابق.

وإن دراستها تأصيل لها، وإحياء لذكرها، ودعوه إلى التمسك بها في زمن حادت فيه بعض الفطر والنحائز.

---

[٢] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت)، ج١، ص١٢٢.

www.mtenback.com

العفو لغة:

عَفا الأثر، يَعْفُو، عَفْوًا، وعُفُوًّا، وعَفاءً: زال وامّحى. وعفا الشيءُ: خفِي. وعفَت الأرض: كثُر نباتها فغطّاها.

والعفْوُ عن الذنب: التجاوز عنه وترك العقاب عليه.

عفا الله فلانًا: وهب له العافية من العلل والبلايا. وعافاه: أبرأه من العلل وأصحّه. والعافية: الصحة التامة.

واستعفى مكلّفه: طلب منه أن يسقط عنه تكليفه. والعَفْوُ من المال: ما زاد عن النفقة.

فالأصل في العفو، إذن المحو والطمسُ[٣]. ومدار الاهتمام في هذا البحث هو التجاوز عن الذنب؛ مثلما ذكر صاحب الكليات في تعريف العفو: «كلُّ من استحق عقوبة فتركتها فقد عفوته[٤]».

وقد وصف الله سبحانه نفسه بأنه عُفُوٌّ؛ و(العفوّ) من أبنية المبالغة. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٥]. وقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[٦].

ومما ذكره الشعراء، وصف حسان بن ثابت لرسول الله ﷺ بأنه عَفُوٌّ، في رثائه له. قال[٧]:

عَفُوٌّ عَنِ الزَّلّاتِ، يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ ... وَإِنْ يُحْسِنوا فَاللهُ بِالخَيْرِ أَجْوَدُ

---

[٣] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، مصر، تراثنا، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، مادة (عفو). وأنيس، د. إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، مادة (عفو).

[٤] أبو البقاء الكفوي: الكليات، تحقيق: محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ص٥٩٨.

[٥] سورة المجادلة: ٢.

[٦] سورة التوبة: ٤٣.

[٧] حسان بن ثابت: ديوانه، دار بيروت، بيروت، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص٩٠.

www.mtenback.com

العفو اصطلاحًا:

وبعيدًا عن كتب اللغة، في تحديد تعريف للعفو وتفسيره فإننا نجد من يقول في تعريفه:

العَفْوُ حقيقته إسقاط حق ثابتٍ مع القدرة على الانتقام[٨]. وقيل العفو هو الكرم[٩]، والعفو قاعدة جمال السلطان، وعمدة رهبته[١٠].

وعدَّ الغزالي العَفْوَ من الوظائفِ التي بالمحافظة عليها يدوم استحقاقُ المُلْكِ والإمامةِ[١١].

كل ذلك يمكن أن يقال بصحته في تعريف العفو، على وجه التعميم، لا التخصيص، إذْ إن بعض هذه النصوص خاصّ بمجالٍ واحد من مجالات العفو، ألا وهو العفو السياسي، أو عفو الملوك والحكام والقادة.

ويستعمل العفو مقترنًا بالمقدرة، كما في قول عبيد بن الأبرص[١٢]:

إمّا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْوًا، أوْ قَتَلْتَ فَلا مَلامَهْ

وقول ابن هَرْمَةَ[١٣]:

وليسَ بُمْعطي العَفْوَ من غَيْرِ قُدرةٍ وَيَعْفُو إذَا مَا مَكَّنَتْهُ المَقَاتِلُ

---

[٨] محمد بن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ليبيا وتونس، الدار العربية للكتاب (١٣٩٧هـ) ج١، ص٤٤٢.

[٩] الميداني، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، بيروت، دار الفكر (١٣٩٣هـ)، ج١، ص٣٧.

[١٠] ابن الأزرق: بدائع السلك: ج١، ص٤٤٢.

[١١] المصدر السابق نفسه.

[١٢] ديوان عبيد بن الأبرص: بيروت، دار القلم، ص٩٤.

[١٣] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، مصر لجنة التأليف والنشر، (١٣٨٤هـ)، ج١، ص٢٧.

www.mtenback.com

وقول الآخر[١٤]:

أَتَيْتُكَ مُسْتَجِيرًا مُسْتَعِيذًا ... بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ يَا إِلَهِي

ولقد اقترن العفو بالمقدرة في أمثال العرب، فمن ذلك قولهم: «خير العفو ما كان عن القدرة»، ونُسبَ للمأمون قولُه يخاطب إسحاق بن إبراهيم الطاهري[١٥]:

فَلاَ أَنْتَ أَعْتَبْتَ مِنْ زَلَّةٍ ... وَلاَ أَنْتَ بَالَغْتَ فِي المَعْذِرَهْ

وَلاَ أَنْتَ وَلَّيْتَنِي أَمْرَهَا ... فَأَغْفِرَ ذَنْبَكَ عَنْ مَقْدِرَهْ

قيمة العفو وأهميته:

خلق الله الخَلْقَ وبثّهم في الأرض ليعمروها، وبعث الأنبياء، وأرسل الرُّسل ليحضّوهم على حسن التعامل والإصلاح، ويعلّموهم الخير ويحذروهم من الشر. فكان أول ما حمله الأنبياء والرسل من تعاليم السماء إلى واقع الأرض الدعوة إلى الفضائل والإحسان إلى الناس.

ثم كانت دعوات الأنبياء إلى الأخلاق الطيبة والقيم والشيم التي تدعو الناس إلى الارتقاء ببشريتهم عن سائر مخلوقات الله تعالى من العجماوات والنباتات والجمادات، التي سخرت لهم في الوجود، لينتفعوا بها، ويمارسوا حياتهم اليومية بأرقى سلوك إنساني نافع للبشرية كلها.

وكان دأب الشرائع السماوية وأصحابها من الرسل والأنبياء، أن تدعو إلى السمو والرقي، وتحبب الناس بالأخلاق الفاضلة، والقيم الرفيعة كالحق والخير والعدل والسلام. ولقد كانت مجتمعات تلك الديانات تتبارى في الدعوة إلى الأخلاق الرفيعة من إخاء ومساواة وحب للتسامح.

---

[١٤] ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد: تلخيص مجمع الآداب، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، (١٩٦٧م)، ج٤، ص٧٦٤.

[١٥] أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، بيروت، دار الفكر، ج٥، ص٧٥.

www.mtenback.com

ثم إنّ الناظر المتأمل في كتب الحضارات، وموسوعات التاريخ، وأخبار الأمم يدرك بحق أن أي حضارة من الحضارات الإنسانية قديمًا أو حديثًا لم تَدْعُ إلى شرٍّ، ولم تُنَادِ بالعدوان، أو سفك الدماء، أو قتل الأبرياء، وأن العرب وهم أهل حضارة وثقافة عريقة أخذوا من فضائل الأعمال ما يوافق طباعهم ويستجيب لعواطفهم، ويتفاعل مع وجدانهم، وقد ظهر عدد كبير من أهل العفو والتسامح الذين ضرب بعفوهم وتسامحهم المثل حتى كانت صفة العفو خصلة من خصالهم وجِبِلَّةً طُبِعَتْ عليها أخلاقهم. وليست الحضارة العربية هي الوحيدة التي تدعو إلى الفضائل، ولكن الإرث البشري مملوء بأمثلة كثيرة، منها ما جاء في الحضارة المصرية القديمة نحو: «أطعم الخبز لمن لا حقل له» و«اترك وراءك ذكرًا طيبًا يبقى أبد الدهر»[١٦].

وفي المتحف البريطاني بُرْدِية مصرية قديمة. تعرف باسم (حكمة أمنحوتب)، وهي مكتوبة قبل الميلاد بـ ٩٥٠ سنة وفيها: «لا تطمع في ذراعٍ من الأرض ولا تَعْتَدِ على حدود أرملةٍ، وخذ خبزك من بيدرك»[١٧].

وحسبنا اليوم أن نقرأ صفحات عطرة من تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية التي اتسعت لتصل الشرق بالغرب، والشمال بالجنوب، وكان لها على ظهر هذه البسيطة حضارة راقية، ومجد زاهر، لم تكن الشمس تغيب عن حدودها المترامية الأطراف، وقد استمرت في البزوغ دهورًا أو أجيالاً.

وإنما استمرت الحضارة العربية الإسلامية رائدة للعالم، وقائدة للدنيا قرونًا طويلة، لأنها أخذت بمنهج العدل الذي يرفع قيمة الفضيلة ويعلي شأن الأخلاق الحسنة وجعلت من هذه الأخلاق القُدْوَة والمثال في أمور حياتها كلّها وحسبها أن يكون في دستورها قوله تعالى:

---

[١٦] ول ديورانت. قصة الحضارة، ط لجنة التأليف بالقاهرة، ١٩٧٣، ج٢، ص٩٩.

[١٧] ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٢، ص١٠٠.

www.mtenback.com

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١٨].

ولقد حمل نبيُّ الرحمة رسالة الحقّ وجاء إلى الناس بأخلاق عظيمة تأدب بها وعلمها، أليس هو القائل: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» والقائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١٩] والقائل: «إنّ أحبّكم إليّ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»[٢٠].

ولقد عرف العرب بجملة طيبة من مكارم الأخلاق في الجاهلية، وجاء الإسلام ليؤكد تلك المكارم، ويزيدها في النفس إشراقًا ووضوحًا، ويرفع أصحابها درجات إيمانية عظيمة.

عرف عن العرب في جاهليتهم الكرم والشجاعة وحماية الجار وإغاثة الملهوف وإكرام الضيف وإباء الضيم والعدل والإيثار والصدق والعفو والحلم والصبر والأمانة والوفاء والغيرة والتسامح وحفظ السر والمروءة وحسن الصحبة والمشورة وإصلاح ذات البين واجتناب الظن، وغير ذلك من مأثوراتهم الخلقية التي عرفت عنهم، وطبعت بتلك المكارم أخلاقهم، ووُسِمَتْ بها طباعهم، وصارت علمًا عليهم، بها يعرفون بين شعوب الأرض. وقد قال الشاعر حسان بن ثابت مخاطبًا زوجه ومعددًا شيم قومه[٢١]:

لَكِ الخَيْرُ، كُفِّي اللَّوْمَ عَنِّي، فَإِنَّنِي ... أُحِبُّ مِنَ الأَخْلاقِ مَا كَانَ أَجْمَلاَ

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي أَرَى البُخْلَ سُبَّةً ... وَأُبْغِضُ ذَا اللَّوْنَيْنِ، وَالمُتَنَقِّلا

---

[١٨] سورة النحل: ٩٠.

[١٩] البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، طبعة مصورة، دون تاريخ، الحديث: ٢١٢٤٢.

[٢٠] الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، الحديث: ١٩٤١.

[٢١] حسان بن ثابت: ديوانه، دار بيروت، (١٩٧٤م)،ص٢٠٦-٢١٠

www.mtenback.com

وَإِنَّـا لَقَـوْمٌ مـا نُسـوِّدُ غَـادِرًا ... وَلاَ نَـاكِلاً عِنْـدَ الحِمَالَـةِ زُمَّـلا
وَلا مَانِعًـا لِلْمَـالِ فِيمـا يَنُوبُـهُ ... وَلاَ عَاجِزًا فِي الحَرْبِ جِبْسًا مُغَفَّـلا
نُجِيرُ، فلا يَخْشَى البـوادِرَ جارُنـا ... وَلاَقَى الغِنَى فِـي دُوْرِنَـا، فَتَحَـوَّلا

وقال المرّارُ بنُ منقذ الشاعر الجاهلي، يفخر بفعل الخير في إطاره العام المطلـق، وأنه يخضع للحق، كريم سخيٌّ بالخير[٢٢]:

وَأَنَـا المَذْكُـورُ مِـنْ فِتْيَانِهَـا ... بِفِعَـالِ الخَـيْرِ، إِنْ فِعْـلٌ ذُكِـرْ
أَعْـرِفُ الحَـقَّ، فَـلاَ أُنْكِـرُهُ ... وكِلاَبِـي أُنُـسٌ غَـيْرُ عُقُـرْ

وقال عمرو بن الأهتم[٢٣]:

لَعَمْرُكَ ما ضَـاقَتْ بِـلادٌ بِأَهْلِهـا ... وَلَكِـنَّ أَخْـلاقَ الرِجَـالِ تَضِيْـقُ
نَمَتْنِي عُـرُوقٌ مِـنْ زُرَارَةَ لِلْعُـلا ... ومِـنْ فَدَكِـيٍّ، والأَشَـدِّ عُـرُوقُ
مَكَارِمُ يَجْعَلْـنَ الفَتَـى فِي أُرُومَـةٍ ... يَفَـاعٍ، وبَعْـضُ الوَالِدِيـنَ دَقِيـقُ

وقال سُويد بن أبي كاهل اليشكري مذكّرًا ببعض معالي الأخلاق العربية وداعيًا إليها ومفتخرًا بتحققها في قومه[٢٤]:

كَتَـبَ الرَّحْمَـنُ، وَالحَمْـدُ لَـهُ ... سَـعَةَ الأَخْـلاَقِ فِينَـا وَالضَّلَـعْ
وَإِبَـاءً لِلدَّنِيَّـاتِ إِذا ... أُعْطِـيَ المَكْثُـورُ ضَيْمًـا، فَكَنَـعْ
وَبِنَـاءً لِلمَعَـالِي، إِنَّمَـا ... يَرْفَـعُ اللهُ، وَمَـنْ شَـاءَ وَضَـعْ

---

[٢٢] الأنباري، محمد بن بشار: شرح المفضليات، بيروت، الآباء اليسوعيون، (١٩٢٠)، ص١٥٣.

[٢٣] الأنباري: شرح المفضليات ص٢٥٤.

[٢٤] الأنباري: شرح المفضليات، ص٣٩٩.

www.mtenback.com

نعم!! إنهم القائلون ذلك، وهم الذين تخلقوا بتلك المكارم قولاً وفعلاً، وهم الذين رفعوها أخلاقًا فأعلتهم منزلة، وتَبَنْوْهَا سلوكًا وعملاً فشرفتهم بين خلق الله بسجاياهم، وقربتهم في دنيا الصفات ومكارم الأخلاق، من روح الإسلام، الذي ما إن جاء حتى اندفع إليه أهلُ تلك المكارم، ملبين داعي الحق، ليدخلوا في دين الله أفواجًا.

وسنعرض في هذا البحث لواحدة من هذه الفضائل، وهي فضيلة العفو، وسنورد من الأمثلة والشواهد والوقائع ما يدل على تمكن هذه السجية من نفوس القوم، ومنزلتها عندهم، وأثرها في حياتهم.

نظرة العرب للعفو:

كتب عمرُ رضيَ اللهُ عنه إلى أبي موسى الأشعري يوصيه: «واسْتَدِمِ النِّعْمَةَ بالشكرِ، والمقدرةَ بالعَفْوِ، والنُّصْرَةَ بالتواضُعِ»[٢٥].

وقال الخليفةُ المنصورُ لابنه المهديّ ينصحُه: «أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة»[٢٦].

وحَدّث العتبيُّ قال: «قيل لمعاوية: ما النبل؟ قال: مؤاخاة الأكفاء، ومداجاة الأعداء. فقيل له: ما المروءة؟ قال: الحلم عند الغضب، والعَفْوُ عند القدرة»[٢٧].

يدل ما سقناه آنفًا من شواهد وأقوال، دلالةً واضحة على منزلة العفو عند العرب، كما يدل على اقتران العفو بالمقدرة، وفي هذا رفع لهذه المنقبة من مناقب العرب، وإعلاء لشأن المتخلق بها بين الناس، لأن العافي يزداد شرفًا عند عفوه، ويرتفع منزلةً حين يصفح ويتجاوز عن الذنب والإساءة، في الوقت الذي يملك فيه الحقّ

---

[٢٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٨٨.

[٢٦] المصدر السابق، ج١، ص٤١.

[٢٧] المبرد: الفاضل، ص٨٨، والكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٣٩.

www.mtenback.com

المشروع في الانتقام، وإنزال العقوبة على من يعفو عنه، إن أراد إلى ذلك سبيلاً، فيكون عفوه نعمة منه ومنّة يتفضل بها حين يتجاوز عن قدرة فلا ينقص حقه.

ولعل أعلى درجات العفو منزلة، وأرفعها مكانة إنما تتجلى فيمن يعفو عمّن أوقع عليه ظلمًا، أو ألحق به ضيْمًا. وأوضح ذلك ما جاء في قوله ﷺ: «أوصاني ربي بتسعٍ: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والفضل في الفقر والغنى، وأن أعفو عمّنْ ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون نطقي ذكرًا، وصمتي فكرًا، ونظري عبرًا»[٢٨].

ولن يقدر على الوصول إلى هذه الدرجة من رفعة الخلق والتسامح إلا من اتخذ من الأنبياء قدوة ومثالاً، وهذا يحتاج لتزكية للنفس وتسامٍ بها إلى قمم الأخلاق وفضائل السلوك الإنساني الّذي لا يناله إلا القلة ممن يأخذون أنفسهم بمعالي الأمور ومكارم الأخلاق.

الألفاظ المرادفة للعفو في كلام العرب:

كما استعمل العفو دعاءً في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[٢٩].

وفي قول الشاعر مكبر بن حسّاد يوم قتل ابن ملجم عليًا كرم الله وجهه[٣٠]:

فَلا عَفَا اللهُ عَنْهُ سُوْءَ فِعْلَتِهِ ... وَلا سَقَى قَبْرَ عِمْرانَ بن حِطَّانا

أما عند علماء الأصول فالعفو هو المسموح به المباح فعله في الشريعة والله تعالى لا يؤاخذ به ولا يعاقب صاحبه، لأنه ليس ذنبًا أو منكرًا.

---

[٢٨] المبرد: الفاضل، ص١٥، والكامل، ج١، ص١٢٢.

[٢٩] سورة التوبة: ٤٣.

[٣٠] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، (١٣٨٥هـ)، ص٣٩٦.

www.mtenback.com

يقول ابن حزم الظاهري بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾[٣١].

نصح بنص الآية أن ما لم ينزل بنص القرآن وجوبه أو تحرمه فهو ساقط معفو عنه[٣٢].

وينقل ابن حزم قول ابن عباس رضي الله عنه: «كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء، ويتركون أشياء تقذرًا، فبعث الله نبيه ﷺ، وأنزل كتابه، وأحل حلاله وحرم حرامه، فما أحل فهو حلال وما حرّم فحرام وما سكت عنه فهو عفو»[٣٣].

ترتبط بالعفو قيم أخرى تشبه أو تتلابس به من قريب أو بعيد؛ مثل الحلم والصفح والتجاوز والغفران والإسجاح وغير ذلكم مما يحمل معنى العفو.

فأما الحلم فقد اقترن بالمغفرة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٣٤]. قال الراغب. «ومتى أطلق الحلم في حقه تعالى فإنه يراد به العمل بمقتضاه وهو العفو دون انفعال يعرض له»[٣٥]، وقال الزجاج: «وليس قول من قال: إن الحليم هو من لا يعاقب بصواب. أما سمع قول للشاعر الفصيح[٣٦]:

حَلِيمًا إِذَا مَا قَالَ عَاقَبَ مُجْمِلاً ... أَشَدَّ العِقابِ أَوْ عَفَا لَمْ يُثَرِّبِ

---

[٣١] سورة المائدة: ١٠١-١٠٢.

[٣٢] ابن حزم الظاهر: الإحكام في أصول الأحكام، ج١، ص٧٠.

[٣٣] المصدر السابق، ج٨، ص١٠٧.

[٣٤] سورة البقرة: ٢٢٥.

[٣٥] الراغب الأصبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٣٤٢.

[٣٦] أبو إسحاق الزجاج: تفسير أسماء الله الحسنى، ص٤٧.

www.mtenback.com

فأمَّا الإسجاحُ: فهو أرفع درجة من العفو ومن ذلك المثل السائر: «مَلَكْتَ فأَسْجِحْ»[٣٧]، مَثَلٌ مرويٌّ عن عائشةَ رضي الله عنها، قالته لعلي كرم الله وجهه يوم الجمل، حين ظهر على الناس، فَدَنا من هوْدجها، ثمَّ كلَّمها بكلام، فأجابته: «مَلَكْتَ فأَسْجِحْ» أي ظهرتَ وظفرتَ فأحسنْ، وقَدْرتَ فَسَهِّلْ، وأحسن العَفْوَ، فجهزها عند ذلك بأحسن الجهاز إلى المدينة.

كما قال هذه الكلمة أيضًا ابن الأكوع في غزوة ذي قَرَدَ: «إذا ملكتَ فأَسْجِحْ». وقال الأحوصُ مخاطبًا محبوبته[٣٨]:

أَسَلَّامَ إنّكِ قَدْ مَلَكْتِ فَأَسْجِحِي ... قَدْ يَمْلِكُ الحُرُّ الكَرِيمُ فَيَسْجَحُ

مُنِّي عَلَى عانٍ أطَلْتِ عَنَاءَهُ ... في الغُلِّ عِنْدَكِ وَالعُنَاةُ تُسَرَّحُ

والإسجاحُ أقوى وأعلى من العفو، لأنه حُسْنُ العَفْوِ.

وأمَّا الصَّفْحُ فمن صَفَحَ عنه يَصْفَحُ صَفْحًا: أعرض عن ذنبه، وهو صَفُوحٌ وصَفَّاحٌ، أي عَفُوٌّ والصَّفُوح الكريم، لأنه يصفح عمن جنى عليه، والصفوحُ من صفات الله، ومعناه العَفُوُّ عن ذنوب العباد، معرضًا عن مجازاتهم تكرُّمًا يقال: صفحت عن ذنب فلان، وأعرضت عنه، فلم أؤاخذه به، وضربت عن فلان صَفْحًا إذا أعرضْتَ عنه وتركته[٣٩].

قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾[٤٠]. قال الأزهري مفسرًا معنى الآية: أفنعرض عن أنْ نذكركم إعراضًا من أجل إسرافكم على أنفسكم في كفركم[٤١].

---

[٣٧] الميداني: مجمع الأمثال: ج٢، ص٢٨٣.

[٣٨] الأصفهاني: الأغاني، ج٣، ص٨٣.

[٣٩] ابن منظور: لسان العرب، (صفح)، والزبيدي، تاج العروس، (صفح)، ج٣، ص.ص٣٤٦-٣٤٧.

[٤٠] سورة الزخرف: ٥.

[٤١] الأزهري: تهذيب اللغة (صفح): ج٤، ص٢٥٦.

www.mtenback.com

وقال الشنفرى[٤٢]:

أُدِيمُ مِطَـالَ الجُـوعِ حتّـى أُمِيتَـهُ وأَضْرِبُ عَنْه الذِّكْرَ صَفْحًا، فَـأَذْهَلُ

فالصفح التجاوز عن الذنب، وترك التثريب، وهو أبلغ من العفو، إذ قد يعفو الإنسان، ولا يصفح[٤٣]، ولذلك قال تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[٤٤].

وأمّا **التجاوز** فقد جاء في اللسان والتاج: جاوَزَ الله عن ذنبه، وتجاوَزَ وتَجَوَّزَ: لم يؤاخذْه به، من: جازَه يجوزُه إذا تعدّاه، وعَبَرَ عليه، وتجاوز عن الشيء: أغضى وعفا. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ. . .﴾[٤٥].

وفي الحديث: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها»[٤٦] أي عفا عنهم. و أنّ النبي ﷺ قال: «كان رجل يداينُ الناسَ، فإذا رأى معسِرًا قال لِفتيانه: تجاوزوا عنه، لعلَّ اللهَ أَنْ يتجاوزَ عنا، فتجاوزَ اللهُ عنه»[٤٧].

أما الغفر والمغفرة: فهي التغطية عن الذنوب، والعفو عنها.

جاء في لسان العرب: الغفورَ: الغَفّار، جل ثناؤه، وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده، المتجاوزُ عن خطاياهم وذنوبهم. يقال: اللهمَّ اغفرْ لنا

---

[٤٢] ديوان الشنفرى، ص٥٨.

[٤٣] الكفوي: الكليات، ص٥٦٢، ٦٦٧، والراغب الأصبهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٤١٧، ٥٤٣.

[٤٤] سورة البقرة: ١٠٩.

[٤٥] سورة الأحقاف: ١٦.

[٤٦] البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، طبعة مصورة عن طبعة إستانبول، (د.ت)، الحديث: ٤٨٦٤.

[٤٧] العيني، محمود بن أحمد: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ج١١، ص١٩١.

www.mtenback.com

مغفرة وغَفْرًا وغُفْرانًا، وإنك أنت الغَفُورُ الغَفَّار، أهلُ المَغْفِرَة[٤٨]. وأصل المغفرة التغطية والستر، وغَفَرَ اللهُ ذنوبك سترها، وغَفَرَ الرجلُ الشَّيْبَ بالخضاب: ستره. قال الشاعر[٤٩]:

حَتّى اكْتَسَيْتُ مِنَ المَشِيْبِ عِمَامَةً غَفْراءَ، أُغْفِرَ لَوْنَها بِخِضابِ

والغافر: فاعل من: غَفَرَ. قال الأعشى مادحًا[٥٠]:

عَلْقَمَ يا خَيْرَ بَنِي عَامِرٍ لِلضَّيْفِ والصَّاحِبِ والزَّائِرِ

والضَّاحِكَ السِّنِّ على هَمِّهِ والغافِرَ العَثْرَةَ للعاثِرِ

واغْتَفَرَ: دعا بالمغفرة. قال أبو زيد الطائي يرثي اللجلاج[٥١]:

كُلُّ مَيْتٍ قَدِ اغْتَفَرتُ فَلاَ أَوْ جَعُ مِنْ وَالِدٍ وَمِنْ مَوْلُودِ

غَيْرَ أَنَّ اللَّجْلاَجَ هَدَّ جَنَاحِيْ يَوْمَ فارَقْتُهُ بِأَعْلَى الصَّعِيْدِ

وقيل إن المغفرة ستر الجرم صونًا من عذاب التخجيل والفضيحة، والفرق بينهما وبين العفو أن العفو قد يكون قبل العقوبة وقد يكون بعدها، بخلاف الغفران فإنه لا تكون معه عقوبة البتة. ولا يوصف[٥٢] بالعفو إلا القادر على ضده فالغفران يقتضي إسقاط العقاب ونيل الثواب، ولا يُستعمل إلا في الباري تعالى، فهو منه أنه يصونه من أن يمسه العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[٥٣].

---

[٤٨] ابن منظور: لسان العرب، (غفر)، ج٦، ص٣٢٩.

[٤٩] المصدر السابق نفسه.

[٥٠] ابن قتيبة: الشعر والشعراء. ليدن. مطبعة بريل ١٩٠٢م. ولم أجد البيتين في ديوان الأعشى الكبير مع أنني وجدت قصيدة له في علقمة المذكور هاهنا على الوزن والقافية نفسيهما، وليس البيتان فيها.

[٥١] صفدي وحاوي: موسوعة الشعر العربي، ج٥، ص٥٢٧.

[٥٢] أبو البقاء الكفوي: الكليات، ٦٣٢.

[٥٣] سورة آل عمران: ١٣٥.

www.mtenback.com

وقال عز اسمه: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾[٥٤].

والعفو يقتضي إسقاط اللوم والذم ولكنه لا يقتضي نيل الثواب، وهو مستعمل في العبد أيضًا، وهو يكون في الدنيا والآخرة، والغفران في الآخرة فقط[٥٥].

مرّ آنفًا معنى العفو عند أهل اللغة، وما يشبهه من مفردات، وتبيّن أنّ لفظي العَفْوِ والغفران وما اشتق منهما كان أكثر تصرفًا في الاستعمال من غيرهما.

وحسب المرء أن يرى كتاب الله يكثر من استعمالهما.

إلاّ أنّ ثمة فروقًا لغوية دقيقة وقعت بين هذه الألفاظ، وقد تميّز لفظَ الإسجاح من بينها، إذ يحمل معنى حُسْنِ العَفْوِ مع المقدرة.

جلّ عَفْوُ الله سبحانَه عن أنواع العفو كلها، لأنّ عفوَه صَفْحٌ وبِرٌّ وإحسان ورحمة وتجاوز ورِفْقٌ وعناية وتدبير وعِتْقٌ من النار.

ولقد جاء العفو في القرآن الكريم بصور شتى، كثرتْ وتعدَّدَتْ إذ بلغت مرات وروده سبعًا وثلاثين مرة. لكنّ المدلول فيها واحد، والدلالة واضحة شاملة، لا لَبْسَ فيها ولا غموض.

وردت آياتٌ كثيرة تشير إلى عَفْوِ الله عن عباده، من ذلك قوله عز وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾[٥٦].

لكنّ هناك عَفْوًا ربانيًا يتجه نحو الأعمال التي عملها العباد، وكانوا فيها منحرفين عن جادّة الصواب، من ذلك قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[*].

---

[٥٤] سورة البقرة: ٢٨٥.

[٥٥] الكفوي: الكليات، ص٥٦٢، ٦٦٧، والراغب الأصبهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٤١٧، ٥٤٣.

[٥٦] سورة آل عمران: ١٥٥.

[*] سورة المائدة: ٩٥.

www.mtenback.com

وثمة عَفْوٌ خصَّ الله به الأنبياء، من ذلك عفوه عن نبيه محمد ﷺ في قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[٥٧].

كما أن هناك آيات كثيرة كانت تشير إلى ضرورة حث الإنسان على العفو عن أخيه، وفي هذا النوع من العفو معنى التنازل عن الحق، والتسامح. من ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[٥٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[٥٩].

أما لفظ المغفرة فقد بلغ عدد مرات تكراره بصوره المتعددة نحو مائتين وأربعين مرة وهو يدور حول معنى مغفرة الله لعباده، وليس ثمة مغفرة تخص العباد فيما بينهم، في كتاب الله إلا في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٦٠].

ويجيء لفظُ (الصفح) بصوره المتعددة خاصًا بالنبي عند خطابه، أو بالبشر عمومًا عند توجيه الكلام إليهم، أو حثهم على الصفح.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٦١] وقال مخاطبًا نبيه: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٦٢].

---

[٥٧] سورة التوبة: ٤٣.

[٥٨] سورة الشورى: ٤٠.

[٥٩] سورة النور: ٢٢.

[٦٠] سورة الشورى: ٤٣.

[٦١] سورة التغابن: ١٤.

[٦٢] سورة المائدة: ١٣.

www.mtenback.com

لكنّ اللافتَ للنظر أنك لا تجدُ آية واحدة تتناول (صفح الله) عن عباده. وربما كان السبب أن في معنى الصفح إعراضًا، والله تعالى أرحم بعباده من أن يُعرض عنهم، وهو بهم لطيف خبير.

إنّ الآيات الكريمة التي ورد فيها لفظ (العفو) أو ما يرادفه، كان اللفظُ يرد فيها غَيْر مقترنٍ بالألفاظ المرادفة، وأحيانًا يقترن بما يرادفه.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[٦٣]. ومن الثاني قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[٦٤].

وقد تَرِدُ الألفاظُ الثلاثة معًا كما في قوله تعالى: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٦٥].

لفظ (العفو) في الآيات الكريمة جاء مقرونًا بلفظ آخر مما يرادفه، فمرةً نجد العَفْوَ والصَّفْحَ معًا، ومرة نجد العفو والمغفرة كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٦٦]، ومرة نجد العفو والصفح والمغفرة، ثلاثة في نسق.

وفي ذلك توكيدٌ وعضد لمعنى العفو بالألفاظ التي ترادفه، لأن الإنسان يستشعر الأمان، ويطمئن أكثر إلى العفو. وقد يَرِدُ العفو أحيانًا في كتاب الله مقترنًا بما لا يرادفه في المعنى، بل بما هو قريب منه، أو غير مُضَادٌ له، كما في (الإصلاح) يأتي بعد (العفو) في قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[٦٧]،

---

[٦٣] سورة الشورى: ٣٠.

[٦٤] سورة البقرة: ١٠٩.

[٦٥] سورة التغابن: ١٤.

[٦٦] سورة النساء: ٩٩.

[٦٧] سورة الشورى: ٤٠.

www.mtenback.com

وكالتوبة يأتي بعدها العفو في قوله: تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾[٦٨]، وإبداء الخير أو إخفاؤه يأتي بعدهما العفو عن السوء في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[٦٩]، والعفو يأتي بعد الإنفاق في السرّاء والضّراء، وكظْمِ الغيظ، ويتلو العفو الإحسان في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٨٥].

وبالتأمل في الألفاظ المرادفة للعفو نجد صفات تميزُ اللفظَ المرادفَ للعفو عن غيره. فالصفح جميل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[٧٠].

وقد تأتي التحيةُ والسلام بعد الصفح، كما في قوله: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٧١]، والتجاوز عن السيئات يكون بعد تَقَبُّلِ أَحْسَنِ الأعمال في نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[٧٢] وكذلك المغفرة يأتي بعدها الإكرامُ الربّانيُّ في نحو: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[٧٣].

---

[٦٨] سورة الشورى: ٢٥.
[٦٩] سورة النساء: ١٤٩.
[٨٥] سورة آل عمران: ١٣٤.
[٧٠] سورة الحجر: ٨٥.
[٧١] سورة الزخرف: ٨٩.
[٧٢] سورة الأحقاف: ١٦.
[٧٣] سورة يس: ٢٦-٢٧.

www.mtenback.com

والصبر في آية أخرى يسبق المغفرة في نحو قوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(٧٤).

وفي موضع آخر نجد المغفرة تأتي بعدها الرحمة في نحو قولـــه: ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٧٥)، وتسبقها محبة الله في نحو: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٧٦)، وقد يسبقها الفرقان وهو النور والهداية تفرقون بهما بين الحق والباطل، ثم يأتي التكفير عن السيئات في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٧٧). أو يسبق المغفرة إصلاح الأعمال والأحوال كما في قوله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٧٨).

هذا هو العفو، وتلك هي المغفرة، وذلك هو التجاوز كمـــا وردت في القـــرآن بأحوالها أوردناها مفصّلةً هاهنا.

---

(٧٤) سورة الشورى: ٤٣.

(٧٥) سورة الأعراف: ٢٣.

(٧٦) سورة آل عمران: ٣١.

(٧٧) سورة الأنفال: ٢٩.

(٧٨) سورة الأحزاب: ٧١.

www.mtenback.com

العفو في السنة:

إنّ المبادئ العالية، والقيم السامية مهما كان لها من صفات الجاذبية والتأثير في النفس الإنسانية، إنْ لم يكن لها تأثيرها الفعّال في النفس والقلب والوجدان، فإنها لا قيمة لها، أو لا أثر لها في حياة الفرد والجماعة.

لكنّها إذا تحوّلتْ إلى حقائق تغزو النفوس، ومُدْركات يقينية تسكنُ العقولَ والقلوبَ فإنها تفيد الإنسان وتُعْلِي من قيمته وقدره، وتجعلُ منه كائنًا حيًّا تُتَرْجَمُ أقوالُه بأفعاله، وتتجسدُ كلماتُه في تصرفاته وسلوكه.

ولقد أدرك الإنسان منذ القديم أن للفرد في المجتمع طاقةً، تتحول إلى إشعاع، فيه قوة، وقوة الإشعاع مصدرها ما تُوحي به النفس.

لكنّهم وجدوا أنّ مدى قدرة الإنسان على إيجاد المعاني الخيرة في قلبه وفكره إنما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمدى اتخاذه القدوةَ والمثالَ في حياته.

وقد نبّهنا القرآن الكريم على ضرورة اتخاذ القدوة والأسوة فقال مجسدًا هذه القدوة في رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٧٩].

ويحضنا تعالى في آية أخرى على اتباع رسوله ﷺ، ويربط محبته بمحبة نبيّه في قلوب عباده، فيقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٨٠].

لذلك كله، لا غرابة في أن يدعو القرآنُ الكريم الناس إلى أن يتخذوا القدوة الحسنة مثالاً يستفيدون منه.

---

[٧٩] سورة الأحزاب: ٢١. وانظر في «العفو في القرآن» كتاب أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، للدكتور أحمد الحداد، دار الغرب الإسلامي، (١٩٩٦م)، ج٢، ص٥٨٤.

[٨٠] سورة آل عمران: ٣١.

www.mtenback.com

والإسلام لم يقم وينتشر بعد محمد ﷺ إلاَّ على أخلاقه وصفاته التي تمثلها صحابته الكرام في حياته، ومارسوها بعد مماته.

وعرف الناسُ بعد النبي الرقةَ والصفح الجميل من أبي بكر رضي الله عنه، وعرفوا الحَزْمَ والقوةَ والحكمةَ من عمرَ بنِ الخطاب، والبذلَ والسخاءَ ولين الجانب من عثمان بن عفّانَ، وعرفوا التضحيةَ وروحَ البذلِ والشجاعة والفداء من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

فهل كانت أخلاق خلفائه إلا بعضًا من أخلاقه؟

وهل كانت مواقفهم إلا مستلهمةً من مواقفه؟

ولكنْ!! كيف كان العفو في كلام سيد المرسلين؟ وكيف تصرف في حياته من خلال مواقفَ عَفْوٍ نبويٍّ كريم؟

روى أبو بكر رضي الله تعالى عنه قول النبي ﷺ: «سلوا اللهَ العَفْوَ والعافية والمعافاة»[٨١].

وقد حثنا النبي على العفو وأمرنا به حين قال مخاطبًا صحابته: «أوصاني ربي بتسع خصال: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضى والغضب، والفضل في الفقر والغنى، وأن أعفوَ عمَّنْ ظلمني، وأعطي مَنْ حرمني، وأَصِلَ من قطعني، وأن يكون نُطْقِي ذكرًا، وصمتي فكرًا، ونظري عبرًا»[٨٢].

وعن عبادة بن الصامت، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان، ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك»[٨٣].

---

[٨١] ابن حنبل: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، بيروت، دار صادر، دون تاريخ، الحديث رقم: ٦.

[٨٢] المبرد: كتاب الفاضل: ص١٥، والكامل: ج١، ص١٢٢.

[٨٣] أخرجه الطبراني.

www.mtenback.com

ويقول ﷺ في بعض أحاديثه: «اهتبلوا عثرات الكرام» وفي رواية: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتِهم»[٨٤] . أي اغتنموا أن يعثروا فتصفحوا عنهم.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، واعْفُوا يُغْفَرْ لكم»[٨٥].

وكان النبي الكريم يحض على العفو والصفح، ويرى أن المذنب إن جاء معتذراً فعليك قَبولُ اعتذاره، يقول: «التائبُ من الذنب كَمَنْ لا ذنبَ له»[٨٦]، و«من لم يقبل من متنصل عذراً، صادقًا كان أو كاذبًا لم يرد عليَّ الحَوْضَ»[٨٧].

وفي حديث ابن الزبير: «أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس» وهو السهل المتيسر، أي أمره أن يحتمل أخلاقهم، ويقبل منها ما سهل وتيسَّر، ولا يستقصي عليهم[٨٨].

هذا ما كان يقوله سيد المرسلين، ويطالب صحابته به، إنه العفو والصفح والغفران، عمَّنْ ظلمه وأساء إليه.

كما حثّ عليه السلام الناس أن يطلبوا من الله العفو.

ودعا النبي ﷺ في بعض أحاديثه إلى قبول عذر من اعتذر، والعفو عنه، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يمشي إلى أخيه فيعتذر إليه بمعذرة لا يقبلها منه إلا تحمل منه كخطيئة صاحب مُكس»[٨٩] يعني العشار.

---

[٨٤] أبو داود: سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، مصر، البابي الحلبي، (١٩٥٢)، بعناية: أحمد سعد، الحديث رقم: ٣٨٠٣.

[٨٥] ابن حنبل: مسند أحمد، الحديث: ٦٢٥٥.

[٨٦] ابن ماجة: محمد بن يزيد بن ماجة، سنن ابن ماجة، الرياض، شركة الطباعة العربية، (١٤٠٤هـ)، كتاب الزهد، الحديث: ٤٢٤٠.

[٨٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٤١ ولم أقف عليه في كتب السنة.

[٨٨] النهاية في غريب الحديث والأثر، (مادة: عفا).

[٨٩] أخرجه ابن ماجة (٣٧١٨) وابن حيان: ص١٨٢-١٨٣، والمكس دراهم كانت تؤخذ في الجاهلية في الأسواق من بائع السلع.

www.mtenback.com

وتحدث عليه السلام عن عفو الإمام خاصة، فحث عليه قائلاً: «ما من إمام يعفو عند الغضب إلا عفا الله عنه يوم القيامة».

لقد كان النبي الكريم حريصًا على أن يكون المسلم صاحبَ عَفْوٍ وتجاوز. ولقد قدَّم القدوةَ والمثال من نفسه لصحابته الكرام، وطالبهم أن يصفحوا ويعفوا ويتجاوزوا، بل إنه طلب أن يعفو المرء عن أخيه إن جاء هذا متنصلاً من ذنبه، معتذرًا عنه، وقد أخبر أنَّ هذا الذي لا يقبل العُذْرَ لا يرد الحوض على النبي يوم القيامة. إنَّ المرء لا يملك إزاء هذه المواقف العظيمة والأقوال الحكيمة إلا أن يقول: إنها أخلاق النبوة، وإنها من أدب الله لنبيه الكريم، وهو القائل فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٩٠].

ومن مواقف العفو النبوي الكريم أنه لما تمكن المسلمون من دخول مكة وفتحها في السنة الثامنة للهجرة بقيادة نبي الحق، وخشي أهل مكة وخافوا انتقامه منهم. فأعلن أبو سفيان لأهلها أنه لا قِبَلَ لهم بمقاومة المسلمين، وقال للعباس: سبحان الله يا عباس، ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقَةٌ.

ولما اكتملَ دخول المسلمين مكة طاف النبي ﷺ بالبيت، ودخل الكعبة، ثم صلّى عند المقام، والناس مضطربون خوفًا، ينتظرون ما يقضي به الرسول الكريم عليهم، وهم الذين آذَوْهُ واضْطَروه للخروج من بلده. فوقف النبي ليقول كلمته، فحبسَ أهل مكة أنفاسهم هل هم في يوم القيامة فإذا بالنبي يقول لهم: «يا معشر قريش!! ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا. أخٌ كريم وابنُ أخٍ كريم. قال: اذهبوا. فأنتم الطلقاء. ثم قال: يا معشر قريش! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظُّمها بالآباء، الناسُ من آدمَ، وآدمُ من تراب، وتَلاَ قَوْلَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

---

[٩٠] سورة القلم: ٤.

www.mtenback.com

مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[91]. هذا هو عفو الإسلام، وصَفْحُ النبوة، وتلك هي الرحمة التي جعلت نبي الرحمة يعفو عمّن ظلمه وحرمه، وسبّب له ولصحابته الأذى سنوات طوالاً. إن هذا العفو النبوي الكريم خُلُقٌ من أخلاق العرب، وعادة من عاداتهم، عرف النبي وقعها في النفوس فعاملهم بها، مما دفع رؤوس مكة وكبراءها إلى الدخول في دين الله أفواجًا، وقد كان منهم أبو قُحافَةَ والدُ أبي بكر، وأبو سفيان، وابنه معاوية، وصفوان بن أمية، والحارث بن هشام، وكلهم في قريش سادة وكبراء.

ومن مواقف العفو النبوي الكثيرة ما جرى في مكة أيضًا بعد الفتح، فقد تقدمت هند بنتُ عتبة، وكانت زوجًا لأبي سفيان، وأمًا لمعاوية، وهي التي لاكت بين أسنانها كَبِدَ الشهيدِ حمزة، تقدمتْ من النبي الظافر لتعلن إسلامها، وتبايع رسول الله، وتطلب منه أن يعفو عنها، فقال: عفا الله عنك، ودعا لها الله ليغفر لها[92].

ومن ذلك ما كان حين قدم على رسول الله ﷺ وفد من هوازنَ، بعد أن حاربوا المسلمين، ودارتْ عليهم الدائرة فهُزموا وأُسِرَ منهم الرجالُ والنساءُ، وصودرتْ أرزاقُهم، فأعلن الوفدُ القادمُ على النبي أنهم جاؤوا بإسلام من وراءهم، فقال كبيرهم: يا رسول الله! إنَّا أهلٌ وعشيرةٌ، وفينا عمُّكَ من الرضاع، وقد أصابنا البلاءُ، وإنما في الحظائر عماتُكَ وخالاتُكَ وأخواتك وحواضنُكَ.. فقال رسول الله: إن

---

[91] سورة الحجرات: ١٣ وانظر القصة في: ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الملك: السيرة النبوية، مصر، البابي الحلبي، (١٣٥٥هـ)، ج٣، ص٢٧٣، وانظر: ابن الأثير: علي بن محمد، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، (١٣٨٥هـ)، ج٢، ص١٢١.

[92] الطهطاوي: رفاعة رافع، سيرة الرسول، تحقيق محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات (١٩٧٧م)، ص٣٤٨.

www.mtenback.com

أحسن الحديث أصدقه، وعندي من ترون من المسلمين.. أما ما هو لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وأسأل لكم الناس... فكلّم المسلمين في أسرى هوازن وسباياهم وأموالهم، فدفعوها عن رضا واختيار[٩٣].

هذا هو الصفح الجميل، والعفو العظيم. هوازن تعادي المسلمين، حتى إذا ظفر بهم النبي جاؤوه مسلمين، فلم ينتقم منهم، وهو القادر على ذلك، بل عفا عنهم، ورد عليهم حقّه وحقّ بني عبد المطلب من الأموال والأسرى والسبايا، والتمس من صحابته أن يتخلّوْا عمّا بأيديهم من الأسرى والسبايا والأموال. فلم يستخدم النبي سلطته وهو القائد لفكّ أعمامه وعماته وخالاته من الأسر، وهم من بني سعد من هَوَازِن، أهله من الرضاع، بل التمس من أصحابه العَفْوَ عن القوم.

لقد كان النبي ﷺ يؤمن أن العفو عند المقدرة ليس ضعفًا أو خَوَرًا أو جُبْنًا، إنه كان يعرف أن ذلك صدر منه عن اقتدار، وهو القائل في بعض ما حدّث به: «ما زادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلاّ عزًّا»[٩٤].

إن المتأمل في ألفاظ العفو، أومرادفاتها، التي وردت في أحاديث النبي الكريم يدرك أن تلك الألفاظ جاءت مفردةً غَيْرَ مقترنةٍ بسواها كما في قوله: «... وأن أعفو عمن ظلمني...»[٩٥]، وقوله لهند بنت عتبة: «عفا الله عنك»[٩٦].

---

[٩٣] العسقلاني، ابن حجر: أحمد بن محمد، الإصابة في تمييز الصحابة، بغداد، مكتبة المثنى، مصورة عن طبعة مصر، (١٣٢٨هـ)، ج٤، ص٢٨.

[٩٤] مسلم بن حجاج النيسابوري: صحيح مسلم، بيروت، دار الفكر، (١٣٩٨هـ)، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، الحديث: ٤٦٨٩، وانظر الترمذي: محمد بن عيسى: سنن الترمذي، الحديث: ١٩٥٢.

[٩٥] انظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص١٢٢.

[٩٦] الطهطاوي: رفاعة رافع، سيرة الرسول، ص٣٤٨.

www.mtenback.com

كما جاءت مقترنةً بما يرادفها من الألفاظ في مواضع أخرى من مثل قوله: «ارحموا ترحموا، واعفوا يغفرْ لكم»[٩٧].

وجاءت مقترنة بألفاظ لا ترادفها، بل تجانسها في مثل قوله: «سلوا الله العفو والعافية والمعافاة»[٩٨]، أو بألفاظ أخرى لا ترادفها، ولا تجانسها كما في دعائه: «اللهم إنك عَفُوٌّ كريم تحبُّ العَفْوَ فاعْفُ عنّا»[٩٩].

فقد قرن النبي في هذا الدعاء العَفْوَ بالكرم، وقد مرَّ بنا أنه بمعناه[١٠٠].

العفو في الشعر العربي:

يُعدُّ العَفْوُ وما يرادفه من الألفاظ من أكثر الألفاظ الدالة على المكارم والقيم الرفيعة ظهوراً في الشعر العربي منذُ عصرِ الجاهلية حتى يومنا هذا.

وكثيراً ما سعى الساعون قديمًا بين الشاعر وممدوحه، ملكًا كان أو أميرًا أو وزيرًا، فيدبّج الشاعرُ القصائد لممدوحه معتذرًا عما نمى إليه متنصلاً من الذنب، ومن قالةِ الحُسادِ زوراً وإفكًا وبهتانًا، فكان الممدوح يسارعُ إلى قَبولِ العذرِ، والعَفْوِ عن شاعره، فيعمدُ الأخيرُ إلى تدبيجِ القصائدِ، ولسانُه يلهجُ بالشكر لممدوحه على عفوه عنه وصفحه.

وفي ديوان الشعر العربي قصائدُ كثيرةٌ تدور في فلك الاعتذار، وتتحدث عن العفو والصفح، وعن التنصل من ذنب نسب إلى الشاعر أنه اقترفه، وسبَّبَ إيغارَ صدرِ الممدوح عليه.

---

[٩٧] أحمد بن حنبل، مسند أحمد، الحديث: ٦٢٥٥.

[٩٨] المصدر السابق، الحديث: ٦.

[٩٩] الترمذي: محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب الدعوات، الحديث: ٣٤٣٥ وابن ماجة: محمد بن يزيد بن ماجة، سنن ابن ماجة، الدعاء، الحديث: ٣٨٤٠.

[١٠٠] ينظر هذا المعنى في الميداني، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، ج١، ص٣٧. انظر مزيداً من الكلام على العفو عند رسول الله ﷺ في كتاب «أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة» ج٢، ص٥٩١-٦١٠.

www.mtenback.com

من ذلك ما جاء في شعر النابغة الذبياني، حيث نقع فيه على قصائد كثيرة، طلب فيها العفو والصفح من النعمان بن المنذر ملك الحيرة، الذي توعّده بالقتل بسبب وشاية بعض الحساد ممّنْ أَوْغَرَ صَدْرَ النعمانِ عليه فخاف الشاعر على نفسه، وبدأ يرسل القصائد إلى صديقه الملك معتذرًا مما نسبه الحسّاد إليه من الذنب الذي لم يفعلْه، قال[١٠١]:

أَتَانِي ــ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ــ أَنَّكَ لُمْتَنِي ... وَتِلْكَ التي تَسْتَكُّ مِنْهَا المَسَامِعُ

مَقَالَةُ أَنْ قَدْ قُلْتَ: سَوْفَ أَنَالُهُ ... وَذَلِك مِنْ تِلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعُ

ومنذ عصر الجاهلية الأولى نجدُ شعراءَ العربِ يذكرون العفو والصفح في أشعارهم، ويسعون إليه ويطلبونه، بل إنهم كانوا يرون فيه مكرمة عظيمة ومأثرة جليلة من مآثرهم التي يتمدحون بها، ويصفون بها وبغيرها رجالاتهم وزعماءهم.

هاهو ذا الشاعر النابغة الجعدي يقول مفتخراً[١٠٢]:

وَمَا عُلِمَتْ مِنْ عُصْبَةٍ عَرَبِيَّةٍ ... كَمِيلادِنَا مِنَّا أَعَزَّ وَأَكْبَرا

وَأَعْفَى إِذا مَا أَطْلَقُوا عَنْ أَسِيرِهِمْ ... وَأَكْرَمَ مِنَّا مُطْلِقِينَ وَأَشْكَرا

والشاعر سُلْمِيُّ بن ربيعة سيد قومه في الجاهلية يفخر بالصفح عن المسيء من بني قومه، لكيلا يفرق صفوفَهم بالغضب، وحتى لا تصيب زلته وجهله من جمعهم وتآلفهم مَقْتلاً، يقول[١٠٣]:

وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلِها، وَرَفَدْتُها ... نُصْحِي، وَلَمْ تُصِبِ العَشِيرَةَ زَلَّتِي

---

[١٠١] النابغة الذبياني، أبو أمامة، زياد بن معاوية: ديوانه، تونس، طبعة ابن عاشور، ص١٦٥.

[١٠٢] الصفدي وحاوي، موسوعة الشعر العربي، ج٥، ص٣٣٠.

[١٠٣] المرزوقي: أحمد بن محمد بن الحسن، شرح الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج١، ص٥٥٢. وسلمي شاعر من بني السّيد بن ضبة، وقد نسب هذا الشعر إلى غيره في الأصمعية ٥٦.

www.mtenback.com

مذكرًا بذلك أن صفة العفو في الإنسان هي نُبلٌ رفيع يستميل أشدّ القلوب قسوة ويحرك المشاعر الإنسانية، ويقول حسانُ في رثاء النبي ﷺ، واصفًا إياه بكثرة العفو[١٠٤]:

عَفُوٌّ عَنِ الزَّلَّاتِ، يَقْبَلُ عُذْرَهُم ... وَإِنْ يُحْسِنُوا، فَاللهُ بِالخَيْرِ أَجْوَدُ

ويبيّن كعب منزلة العفو وفوائده بين بعض الأخلاق العربية، فيقول[١٠٥]:

وَفِي الحِلْمِ إِدْهَانٌ، وَفِي العَفْوِ دُرْسَةٌ ... وَفِي الصِّدْقِ مَنْجَاةٌ مِنَ الشَّرِّ، فَاصْدُقِ

يريد أنك إذا صَلُبْتَ وصَمَدْتَ انهزمَ عنك من تصدقه، وإن ضعفت بالحلم والعفو قوي عليك، واستمكن منك. فهذه دعوة ضد العفو، وموقف غريب مخالف وقفه كعب هاهنا، لكن العفو الصادر عن القدرة له وجه غير هذا، فهو ليس ضعفًا، كما أنه ممجّدٌ عند العرب وشعرائها. قال بعض الشعراء معتذرًا، وطالبًا العفو[١٠٦]:

فَهَبْنِي مُسِيئًا كَالَّذِي قُلْتَ ظَالِمًا ... فَعَفْوًا جَمِيلاً كَي يَكُونَ لَكَ الفَضْلُ

فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلفَضْلِ عِنْدَكَ لِلَّذِي ... أَتَيْتُ بِهِ أَهْلاً، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلُ

وقد يكون الرجل صاحب عفو عند قدرته، مع أن القوة والسطوة تغري صاحبها بالانتقام والقصاص دون العفو. قال شاعرٌ طائي في ممدوحه[١٠٧]:

---

(١٠٤) حسان بن ثابت: ديوانه. بيروت، دار بيروت، (١٣٩٤هـ)، ص٥٥.

(١٠٥) يبدو أن البيت لكعب بن مالك الأنصاري، ففي ديوانه قصيدة على الوزن والروي، ص١٩٤-١٩٧، لكن البيت ليس فيها، ورجعت إلى ديوان كعب بن زهير فلم أجد البيت، و لم أجد قصيدة على الوزن والروي وقد نسب ابن منظور في اللسان (صدق) ج١٢، ص٦٤، هذا البيت لكعب، و لم يحدد من هو كعب هذا.

(١٠٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٤٢.

(١٠٧) أبو تمام: حبيب بن أوس، الوحشيات بشرح التبريزي، تحقيق: عبد العزيز الميمني ومحمود شاكر، مصر، دار المعارف ١٩٦٣، ص٣٨.

www.mtenback.com

أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ إلاّ عِنْـــدَ قُدْرَتِـــهِ وَلَيْسَ لِلسَّيْفِ عَفْـــوٌ حِـــينَ يَقْتَـــدِرُ

فالممدوح صاحب قوة ومضاء، وهو أشدُّ قوةً من الســـيف ومضـــاء، لكنـــه يعفو مع القدرة على الانتقام، أما السيف فإنه ذو قوة ومضاء من غير عفو.

والشاعر المخضرم امرؤ القيس بن عابس الكندي أكثرُ احتفاءً بالعفو ومغفـــرة الذنوب، حن يدعو إلى التسامح مع الإخوة، وترك الحساب والعتاب فيما بينهم، حتـــى يتآلفهم بالمحبة، ويحفظ قلوبهم بالمودة. وهو يحمل بين جنبيه دعوة أخلاقيه تقوم علـــى العفو والتسامح، يقول[١٠٨]:

فَخُذْ مِنْ أَخِيْكَ العَفْوَ، وَاغْفِرْ ذُنُوبَـــهُ وَلاَ تَكُ فِي كُـــلِّ الأُمُـــورِ تُحَاسِـــبُهْ

وقد وجه الشاعر كعبُ بن مَعْدان رسالة شعرية إلى يزيد بن المهلب يعتذر لـــه فيها عما بَدَرَ منه، ويطلب منه العفو والصفح، يقول[١٠٩]:

أَبْلِغْ يَزِيـــدَ قَرِيـــنَ الجُـــودِ مَأْلُكَـــةً بِـــأَنَّ كَعْبًـــا أَسِـــيْرٌ بَيْـــنَ أَعْفَـــادِ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَبَيْـــتُ الجُـــودِ بَيْتُكُـــمُ وَالدَّهْرُ طَوْرَانِ مِنْ غَـــيٍّ وَإِرْشَـــادِ

وَإِنْ مَنَنْتَ بِصَفْحٍ، أَوْ سَـــمَحْتَ بِـــهِ نَزَعْتُ نَحْـــوَكَ أَطْنَـــابِي وَأَوْتَـــادِي

أما الشاعر العباسي صريع الغواني مُسْلِمُ بنُ الوليد فيعترف لممدوحـــه بذنبـــه، ويطلب أن يشمله ما يرجو من عَفْوٍ فيقول[١١٠]:

إِنْ كَانَ ذَنْبِي قَـــدْ أَحَـــاطَ بِحُرْمَتِـــي فَـــأَحِطْ بِذَنْبِـــي عَفْـــوَكَ المَـــأْمُولاَ

---

[١٠٨] الصفدي، وحاوي: موسوعة الشعر العربي، ج٥، ص٨٩.

[١٠٩] أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١٠، ٥٨.

[١١٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٥٧. وقد نسب ابن عبد ربه البيت إلى صريع الغواني، ولكني لم أجده في ديوانه. وفي الديوان قصيدة على الوزن والروي نفسيهما، وليس البيت فيها.

www.mtenback.com

ويحلو للحسن بن وهب الشاعر العباسي أن يعرض على الخليفة قضيته وأن يجاري المعتقد فيه، فيتحدث عن طلب العفو إن كان ذا ذنب أو لا ذنب له، ويجعلَ المغفرةَ موقوفة عليه، حين يقول[١١١]:

إِنْ كان لي ذَنْبٌ، وَلاَ كَانَ لِي ... فَمَا لَهُ غَيْرُكَ مِنْ غَافِرِ

ويقول بشارُ بن برد مادحًا الخليفة المهدي ورجاله، بأحسن الأخلاق، التي منها العفو بعد المقدرة[١١٢]:

يَلْقَوْنَ رُوَّادَهُمْ إِذَا نَزَلُوا ... بِالجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ يُنْتَظَرُ

يَرْضَوْنَ بِالحَمْدِ مِنْ صَنَائِعِهِم ... فِينَا، وَبِالعَفْوِ بَعْدَمَا ظَفِرُوا

ويأتي العماد الأصفهاني بمعنى طريف حين يمدح ناسًا بالعفو عن خصومهم، ويبالغ في هذا المعنى فيقول إن كثرة عفوهم وصفحهم قد جرأ عليهم أهل السوء لِما علموا من رحمتهم وتسامحهم. قال[١١٣]:

أَحْسَنُوا العَفْوَ وَالتجَاوَزَ حَتَّى ... مهّدُوا حُرْمَةً لأَهْلِ الجَرائِمْ

ويقول الحَيْصَ بَيْصَ سعدُ بن محمد التميمي مادحًا[١١٤]:

يَعَافُ إِبَاءً فِيهِ أَدْنَى خَسِيفَةٍ ... وَيَغْتَفِرُ الجُرْمَ الجَلِيلَ، وَيَصْفَحُ

إنه يؤكد معنى المغفرة بالصفح في مديحه لأميره الذي يغتفر الجرم الجليل، ويصفح عن ذنب صاحبه.

---

[١١١] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٤٢.

[١١٢] بشار بن برد، ديوانه، تصحيح محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الجزائر، (١٩٧٦م)، ج٣، ص١٨٣.

[١١٣] العماد الأصفهاني، محمد بن عبد الله: خريدة القصر: القسم العراقي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، (١٣٨٤هـ)، ج١، ص١٦٦.

[١١٤] المصدر السابق، ج١، ص٢٢٤.

www.mtenback.com

ومن العصور المتأخرة، عصور الدول المتتابعة يرتفع صوت الشاعر الحجازي محمد كبريت داعيًا ربَّه، وطالبًا منه العَفْوَ عن ذنوبه[١١٥]:

إِلَهِي! أَنْتَ أَوْلَى مَنْ عَفَا عَنْ ذُنُوبٍ مِثْلِ أَعْدادِ التُّرَابِ

إذا استعرضنا ما سقناه من شواهد العفو، في عصور قائليها، فإننا نرى بعض الشعراء قد أورد لفظ العفو أو ما يرادفه من غير أن يقرنه بشيء، وأن بعضهم الآخر قرن اللفظ بمرادفه أو ربما لا يرادفه.

فحسّان بن ثابت رضي الله عنه لم يقرن اللفظ بشيء في قوله: عَفُوٌّ عن الزلات... البيت. وفعل فعله كعب بن مالك: (في العفو درسة).

أما الشاعر الطائي فقد قرن العفو بالقدرة، وقرن ابن عابس العفو بالمغفرة: فخذ من أخيك العفو واغفر... البيت.

والذي يبدو واضحًا من اقتران العفو بما يرادفه أو بما يصفه أنَّ غَرَضَ الشعراء من ذلك إنما هو التأكيد على معنى العفو، بذكر مرادفه في الكلام، أو التحبب به عن طريق اتباعه بوصف حسن.

بل ربما نجد شاعرًا ربط بين الصفح والمَنّ، في تفضُّل وإسقاط للحق بعد القدرة عليه، على نحو ما فعل الشاعر الحارث بن ظالم المُرِّي في قوله[١١٦]:

ورَجَعْنا بِالصَّفْحِ عَنْهُ وَكَانَ الـ ـمَنُّ مِنَّا عَلَيْهِ بَعْدَ تَلِيّا

لكن شعراء العرب أكثروا من قرن العفو أو ما يرادفه بالمقدرة منذ عصر الجاهلية حتى يومنا هذا. يقول المهلهل بن ربيعة[١١٧]:

---

[١١٥] الردادي، د. عايض: الشعر الحجازي. جدة، مكتبة المدني، (١٩٨٤م)، ج١، ص١٩٣-١٩٤.

[١١٦] صفدي وحاوي، موسوعة الشعر العربي، ج٤، ص٤٠٠.

[١١٧] مهلهل بن ربيعة: ديوانه، ص٣٢.

www.mtenback.com

وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ ... وَتَعْفُو عَنْهُمُ، وَلَكَ اقْتِدَارُ

ويقول ابن عبد ربه[118]:

سِوَى أَنَّ صَفْحًا كَانَ مِنْ بَعْدِ قُدْرَةٍ ... وَأَحْسَنُ مَقْرُونٍ إِلى قُدْرَةٍ صَفْحُ

ويقول عبد الملك بن عيّاش[119]:

سارَ العُلُوجُ وفي أَعْنَاقِهم مِنَنٌ ... من عَفْوِ مُقْتَدِرٍ، للغَزْوِ مُنْتَدَبِ

ويقول صاحب العقد[120]:

مَا أَنْصَفَ الحبُّ قَلْبِي في حُكُومَتِهِ ... ولاَ عَفَا الشَّوقُ عَنِّي عَفْوَ مُقْتَدِرِ

لكنّ الرائع الجميل في اقتران العفو بالقدرة إنما يبدو فيما ذكره الشعراء العشاق. فالشوق - كما رأينا في بيت صاحب العقد - لم يَعْفُ عنه عَفْوَ مقتدر، فالقادر أولى بالعفو وأحق به حتى في العلاقة الخاصة.

والعجيب في الأمر أنّ عفو ممدوحي الشعراء من ملوك وخلفاء وقادة وولاة إنما هو خُلقٌ تخلّقُوا به، حتى بدا طبعًا أصيلاً لديهم، وسلوكًا طبيعيًا من أخلاقهم. فكأنهم باصطناعهم له، وإظهاره للرعية يستديمون محبتهم، ويؤلفون القلوب من حولهم بالعفو والصفح، حتى لا ينبذَ طاعتهم مُتَجَرِّئٌ ولا يناوئهم خَصْمٌ، أو يخلعَ ولايَتَهُمْ كَنودٌ.

لكأنّ العَفْوَ شيمةٌ من شيم العرب والسادة والقادة، وكأن الجور والبعد عن سنن القصد من سيرة عامة الناس. يقول سُرَّاقَةُ بن مرداس مخاطبًا المختار بن عبيد الله الثقفي بعد أن سجنه[121]:

---

[118] ابن عبد ربه، شعره، ص٨٤.

[119] ابن صاحب الصلاة، عبد الملك: تاريخ المنّ بالإمامة، تحقيق: عبد الهادي التازيّ، دار الأندلس، بيروت، (١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، ص١٦٠.

[120] ابن عبد ربه: شعره، ص١١٧.

[121] الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت)، ج٧، ص١٢٣.

www.mtenback.com

فَأَسْجِحْ إِذْ مَلَكْتَ، فَلَو مَلَكْنَا لَجُرْنَا فِي الحُكُومَةِ واعْتَدَيْنَا

ويكرِّر الصورة نفسها شاعر آخر، ولكن في موطن الهجاء، فيقارن بين عفو قومه وانتقام المهجوين في حال مقدرة كلٍّ منهما، قائلاً:

مَلَكْنا فَكانَ العَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكْتُم سَالَ بالدَّمِ أَبْطَحُ

لقد عرف العرب هذا الأمر في حِكَمِهمُ ومأثور أقوالهم. يقول الأحنف بن قيس: «أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، ومن أقدر عليه من الملوك؟»[١٢٢].

ومن مأثور أقوالهم: «لا سؤدد مع انتقام، ولا رئاسة مع عزة نفس وإعجاب، ولا يزداد الذنب عظمًا إلا ازداد العفو فضلاً»[١٢٣].

لهذا نجد أن الشعراء يدركون في أعماقهم سرَّ وجود فضيلة العفو في قلوب ممدوحيهم، فهم يعمدون إلى استنباطها واستخراجها، كل على حسب وسعه وطبعه، فمنهم من يلجأ إلى التصاغر والتذلل، على نحو ما فعل الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص في قوله للملك حجر الكندي، وقد أسره وقومه[١٢٤]:

إِمَّا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْوًا، أو قَتَلْتَ فَلاَ مَلامَهْ
أَنْتَ المَلِيكُ عَلَيْهُمُ وَهُمُ العَبِيدُ إِلى القِيامَهْ

ومثل ذلك ما قاله شاعر وقع فريسة بين يدي خصمه الذي كان يتهدده بالقتل[١٢٥]:

اعْفُ عَنِّي، فَقَدْ قَدَرْتَ، وَخَيْرُ الـ ـعَفْوِ عَفْوٌ يَكُونُ بَعْدَ اقْتِدَارِ

---

(١٢٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٨٩.

(١٢٣) ابن الأزرق، بدائع السلك، ج١، ص٤٤٤.

(١٢٤) ديوان عبيد بن الأبرص، ص٩٤.

(١٢٥) الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٢٤٣.

www.mtenback.com

ووقف أبو الطيب المتنبي الموقف ذاته، ولكنْ دون أن يتذلل. قال يخاطب القاضي أحمد بن الحسين المالكي[١٢٦]:

وَذَنْبِي تَقْصِيري، وَمَا جِئْتُ مَادِحًا ... بِذَنْبِي، وَلَكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُوْ

لقد وضع الذنب بين يدي ممدوحه، وأقر له به، ثم التمس منه صفحه وعفوه.

هذه المواقف مديح مغلف بالتماس العفو، يصور الشاعر نفسه مذنبًا، ليتقرب من ممدوحه، ويجد طريقًا إلى قلبه، وينال من أعطياته، فليس ثمة ذنب ليكون بعده عفو، إنما هو الطموح والطمع وحب الدنيا.

وقد نجد بين الشعراء من يوظف العفو والصفح في مجال النصح، وبين أيدينا موقفان الأول لأبي الأسود الدؤلي يخاطب فيه ابنه، والثاني للشريف الرضي يخاطب فيه العافي والمعفو عنهم.

يقول أبو الأسود مخاطبًا بعض ولده[١٢٧]:

وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْحِلْمِ، وَاصْفَحْ عَنْ الأَذَى ... فَإِنَّكَ راءٍ مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ

ويقول الشريف الرضي يخاطب وزير الدولة[١٢٨]:

فَاصْفَحْ، فَسَوْفَ يَنَالُ صَفْحُكَ مِنْهُمُ ... مَا لا يَنَالُ العَضْبُ وَهْوَ حَدِيدُ

وَحَذَارِ مِنْ وَبْلِ العِقَابِ وَقَدْ بَدَتْ ... مِلْءَ العُيُونْ بَوارِقٌ وَرُعُودُ

وَتَغَنَّمُوا عَفْوًا يَفِيضُ وَفَيْئَةً ... تَدْنُو، وَحِلْمًا لا يَزالُ يَعُودُ

لقد أشار الشاعر بالعفو عن العصاة، ورأى أنه سيكون للصفح عنهم أثر بعيد لا تصل إليه العقوبة، وحذر من إنزال العقاب والبطش بهم لأنهم في حالة غضب وثورة،

---

[١٢٦] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوانه بشرح الواحدي، برلين، (١٨٦١م)، ص٨٠.

[١٢٧] أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو: ديوانه، صنعه: أبي سعيد الحسن السّكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، (١٩٧٤م)، ص٨٠.

[١٢٨] الشريف الرضي، محمد بن الحسين: ديوانه، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج١، ٣١٢.

www.mtenback.com

ثم التفت الشاعر نحو الطرف الآخر، وهم العصاة، فيطلب منهم أن يهتبلوا الفرصة، ويغتنموا العفو عنهم إذا صدر، لأنّ فيه فرصةً مواتية تنجيهم من العقاب،وحلمًا قد لا يرجع إليهم مرة أخرى.

وقد يلجأ بعض الشعراء إلى أسلوب العرض، أو الأمر المؤدي إلى العرض، وفيه طلب على كل حال، فهذا أبو الأسود يطلب من زوجه أن تأخذ منه عفوه، وأن تسعى إليه لتستديم مودته، فيقول[١٢٩]:

خُذِي العَفْوَ مني تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي ... وَلاَ تَنْطِقِي في سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

ونجد بين الشعراء من يسلك طريقًا أخرى، فَيُحَسِّنُ العفو لمن يرجو منه عفوه، وذلك بإظهار إعجابه بهذه القيمة، وتلك المنقبة. يقول الحسن بن وهب مخاطبًا بعضَ ولاة الأمر في العصر العباسي[١٣٠]:

مَا أَحْسَنَ العَفْوَ مِنَ القَادِرِ ... لا سِيَّما عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرِ

واتخذ الحَسَنُ الموقفَ نفسَه في قصيدة أخرى يقول فيها[١٣١]:

أَبا جَعْفَرٍ!! ما أَحْسَنَ العَفْوَ كلَّه ... وَلاَ سِيَّمَا عن قَائِلٍ: لَيْسَ لي عُذْرُ

أما أبو تمام فله موقف مختلف، يقفه أمام ممدوحه مالكِ بن طوق، يطالبه فيه بتأليف قومه، وجمع شملهم، وهو يعمد في هذا الموقف إلى عرض الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة ويذكر المخاطب موقف النبي ﷺ وعفوه حتى يكون العفو المنتظر من مالك فيقول[١٣٢]:

---

[١٢٩] أبو الأسود الدؤلي: ديوانه، ص١٤٩.

[١٣٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٤٢

[١٣١] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٤٢.

[١٣٢] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوانه بشرح الخطيب التبريزي، القاهرة، (١٩٦٤م)، تحقيق محمد عبده، ج١، ص٤. وقوله: بذناب: جمع ذَنُوب وهو الدلو يستقى به الماءُ.

www.mtenback.com

أَسْبِلْ عَلَيْهِمْ سِتْرَ عَفْـــوِكَ مُفْضِـــلاً وَانْفَحْ لَهُـــمْ مِـــنْ نَـــائِلٍ بِذَنَـــابِ
لَكَ فِي رَسُـــوْلِ اللهِ أَعْظَـــمُ أُسْـــوَةٍ وَأَجَلُّهـــا فِي سُـــنَّةٍ وَكِتَـــابِ

وقد نجد فئة من الشعراء ممّن تحدثوا عن العفو يسلكون مســـالكَ الســـخرية عندما يصادفون قضية انقلبتْ فيها الموازينُ وصار المجرمُ قاضيًا، والبريء متهمًا، هـــذا شاعر النيل حافظ إبراهيم يقول(١٣٣):

كَتَـــبَ الْمَنْفِـــيُّ سَـــطْرًا لِلَّـــذِي جَـــاءَهُ بِـــالعَفْوِ، فَـــاقْرَأْ واعْجَـــبِ
أَبَـــرِيءٌ عَنْـــهُ يَعْفُـــو مُذْنِـــبٌ كَيْفَ تُسْدِي العَفْوَ كَـــفُّ الْمُذْنِـــبِ

وقد يعمد بعض الشعراء إلى التلويح بالعقوبة وهم يتحدثون عن العفو، على نحو ما فعل أبو الأسود الدؤلي، وهو يقول لبعضهم(١٣٤):

فَإِنْ أَعْفُ يَومًا عن ذُنُوبٍ وتَعْتَـــدِي فَإِنَّ العَصَا كَـــانَتْ لِغَـــيْرِكَ تُقْـــرَعُ

لكن الموقف الأكثر غرابة هو موقف الشاعر الوزير المغربي الذي قال لخليفـــة مصر الحاكم بأمر الله متحديًا وطالبًا إعذاره والعفو عنه(١٣٥):

كُنْ حَاقِدًا، مَا دُمْتَ لَسْـــتَ بِقَـــادِرٍ فَإِذَا قَدَرْتَ فَخَـــلِّ حِقْـــدَكَ واغْفِـــرِ
وَاعْـــذُرْ أَخَـــاكَ إِذَا أَسَـــاءَ فَرُبَّمَـــا لَجَّـــتْ إِسَـــاءَتُه إِذَا لَـــمْ تَعْـــذُرِ

ولقد سلك بعض الشعراء مسلكًا عجيبًا في الكلام على العفو، فتحـــدَّث عـــن ممدوح يقابل الإساءة بالإحسان، حتى راح المسيئون كما يقول ابن الصيرفي «يتقربون

(١٣٣) إبراهيم، حافظ: ديوانه، بيروت، دار العودة، ج١، ص٣٩.

(١٣٤) أبو الأسود الدؤلي: ديوانه، ص٩١.

(١٣٥) الوزير المغربي، الحسين بن علي: أدب الخواص، تحقيق حمـــد الجاســـر، الريـــاض، دار اليمامـــة، (١٤٠٠/١٩٨٠)، ص٤٤.

www.mtenback.com

إليه بالجرائر فحمدوا خطأهم وما عهدنا الخطأ غير كلمه يُحمد، وجحدوا براءتهم وما عرفنا البراءة لولا فيض فضله تُنكر وتُجحد، وصارت إساءتهم من قواتهم إليه وشوافعهم..» وعن هذا المعنى عبر الشاعر في قوله:

وَسِعَتْ مَراحِمُكَ الجُنَاةَ بِأَسْرِهِمْ ... وَأَقَلْتَ كُلاًّ مِنْهُمُ عَثَراتِهِ

وَجَزَيْتَ مُرْتَكِبَ الكَبِيْرةِ مِنْهُمُ الـ ... ـحُسْنى فَأَصْبَحَ شَاكِرًا زَلاَّتِهِ

وعبر عن هذا المعنى الطريف للعفو مهيار الديلمي تعبيرًا رائعًا في قوله[١٣٦]:

وَإِذَا الإِبَاءُ المُرُّ قَالَ لَكَ: انْتَقِمْ ... قَالَتْ خَلاَئِقُكَ الْكِرامُ: بَلِ احْلُمِ

شَرْعٌ مِنَ العَفْوِ انْفَرَدْتَ بِدِينِهِ ... وَفَضِيلَةٌ لَوْلاكَ لَمْ تَتَقَدَّمِ

حَتَّى لَقَدْ وَدَّ البَرِيءُ بِأَنَّهُ ... أَوْلَى إِلَيْكَ بِفَضْلِ جَاهِ المُجْرِمِ

إنها مواقف متباينة، اختلف فيها أصحابها الشعراءُ، كُلٌّ من زاويته، ومن قوة مركزه أو ضعفه. وهي تنبئ عن قوة الشخصية، أو تفضح ضعف النفوس فيهم وتهالكها، خاصة لدى أصحاب الطمع والجشع، أو ذوي الخوف والجزع.

فكم أُنْقِذَتْ بالعفوِ أرواحٌ، ونَجَتْ بالصفحِ أعناقٌ، وحُقنت بالتجاوزِ دماءٌ. فلا غرابَة أن نجد قادة الأمة يتخلّقون بشيمة العفو، ويتواصون بها فيما بينهم، وقد جعل الإمام الغزالي العفو من الوظائف التي يدوم استحقاق الملك والإمامة بالمحافظة عليها[١٣٧].

فالذي يراه المتأمل البصير في حياة القادة وسادة العرب، أنهم أدركوا حاجة الناس للعفو وميلهم إليه وسعيهم وراءه، فبذلوه لهم.

---

[١٣٦] ابن الصيرفي: الأفضليات، تحقيق د. وليد قصّاب، د. عبد العزيز المانع، مجمع اللغة العربية، دمشق، (١٩٨٢م)، ص٧.

[١٣٧] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٤٤٢.

www.mtenback.com

العفو في شعر المتيّمين:

وهو نوع طريف من أنواع العفو بين الناس، عرف في شعر العرب منذ القديم، لذا رأينا أن نقف عنده قليلاً، ونورد منه ما يقتضيه المقام.

يقع المرء في دواوين شعر الغزل على أبيات كثيرة يطلب فيها أصحابها الشعراء العفو والصفح والتجاوز من أحبتهم. فماذا تراهم يقولون؟.. هاهو ذا أحد متيّمي عصر الجاهلية من الشعراء، وهو المرقّش الأصغر، الذي اشتهر بحبّ فاطمةَ، كما اشتهر جميل بحب بثينة، والمجنون بحب ليلى العامرية، يقول المرقش مخاطبًا مَنْ يحب[١٣٨]:

أَفَاطِمَ!! إنَّ الحبَّ يَعْفُو عَنِ القِلَى ... وَيَجْشُمُ ذا العِرْضِ الكَرِيمِ المَجَاشِمَا

أَفَاطِمَ!! لَوْ أَنَّ النِّسَاءَ بِبَلْدَةٍ ... وَأَنْتِ بِأُخْرَى لاتَّبَعْتُكِ هَائِمَا

إن المرقش يرى أن الحبيب يجب أن يعفو عن البغضاء إن بدت يومًا ممن يحبُّه. ويقول بَشّار متغزلاً متذللاً لمن يحب[١٣٩]:

قَدْ تُبْتُ مِمّا كَرِهْتِ فَاحْتَسِبِي ... غُفْرَانَ مَا جِئْتُ غَيْرَ مُعْتَمِدِ

وفي العصر الحديث يقول أحمد شوقي في إحدى روائعه[١٤٠]:

عَلَّمُوهُ كَيْفَ يَجْفُو فَجَفَا ... ظَالِمٌ لاقَيْتُ مِنْهُ مَا كَفَا

جَعَلُوا ذَنْبِي لَدَيْهِ سَهَرِي ... لَيْتَ بَدْرِي إذْ دَرَى الذَّنْبَ عَفَا

ذلك ذنب خاص أتى من جانب واحد، وإلا فأي ذنب يكون في سهر المحب توقًا إلى حبيبه؟ فالشاعر يتمنى من حبيبه أن يعفو بعد أن علم بهذا الذنب.

---

[١٣٨] الصفدي وحاوي: موسوعة الشعر العربي، ج١، ص٣٣٩-٣٤٠.

[١٣٩] بشار بن برد: ديوانه، ج٢، ص١٣٣.

[١٤٠] أحمد شوقي: الشوقيات، بيروت، طبعة مصورة، ج٢، ص١٣٢.

www.mtenback.com

ويقول شاعر الأطلال إبراهيم ناجي في إحدى مفارقاته العجيبة مخاطبًا من يحب[١٤١]:

وَفِي عَيْنَيْكِ تَقْتِيلٌ وَفِي البَسَماتِ غُفْرانُ

إن السرّ يكمنُ في فتنة عينيها وسحرهما، وإذا قتلت عيناها فإنّ بسمة شفاهها تصفح وتعفو.

ويقول في رائعته المطولة (الأطلال)[١٤٢]:

يا رِيَاحًا لَيْسَ يَهْدَا عَصْفُها نَضَبَ الزَّيْتُ وَمِصْبَاحِي انْطَفَا

وَ أَنَا أَقْتَاتُ مِنْ وَهْمٍ عَفَا وَأَفِي ـ العُمْرَ ـ لناسٍ ما وَفَى

كَمْ تَقَلَّبْتُ عَلَى خِنْجَرِهِ لا الهَوَى مَالَ، وَلا الجَفْنُ غَفَا

وَإِذَا القَلْبُ عَلَى غُفْرانِهِ كُلَّمَا غَارَ بِهِ النَّصْلُ عَفَا

إنه لقلبٌ ساذَجٌ طيّبٌ، اعتاد غفران ذنوب الحبيب، وعَوّدَهُ على العفو والتسامح، حتى صار يعفو ويصفح عمن يحب، في الوقت الذي يغيب فيه نصل الحبيب أذى وهجرًا وهوانًا.

ولنستمعْ إلى هذا الشاعر نفسه في (الأطلال) أيضًا وهو يقول[١٤٣]:

أَيُّها الشَّاعِرُ تَغْفُو تَذْكُرُ العَهْدَ وَتَصْحُو

وَإِذا مَا الْتَامَ جُرْحٌ جَدَّ بِالتَّذْكارِ جُرْحُ

فَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَنْسَى وَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَمْحُو

---

[١٤١] إبراهيم ناجي: ديوانه، دار العودة، بيروت، (١٩٧٣م)، ص١٤٦.

[١٤٢] المصدر السابق، ص٢٨٦.

[١٤٣] المصدر السابق، ص٣٠١.

www.mtenback.com

أَوَ كُـــلُّ الحُـــــبِّ في رَأْ يِـــكَ غُفْـــرانٌ وَصَفْـــحُ؟..

إنّ إحساس هذا الشاعر الوامق يصور له أن الحب لا يقوم إلاّ علـــى المغفـــرة والصفح والتسامح ونسيان الآلام والهوان. وذلك شيء عجيب!!..

العفو بين الأهل والعشيرة والأصحاب:

إن الترابط والتماسك بين أبناء المجتمع الواحد مرهون بحسن التعامل القائم على حسن الأخلاق.

وبقدر ما تسود المحبة والتسامح والصفح بين أبناء المجتمع يكون تماسك وتعاضد بينهم، فيعلو المجتمع بأبنائه، ويرتقي، لأن الذي جمعه شيمة من أعظم الشيم، ومنقبـــة من أحسن المناقب والقِيَم، ألا وهي العفو.

إن هذا النوع من العفو ضروري جداً بين الناس، لأنّ به تأليف القلوبِ علـــى المحبة، وجَمْعَ الكلمة، وتناسيَ الأحقاد والضغائن. وأهمية العفو في أي مجتمع إنســـاني تأتي من الوظيفة التي يؤديها للفرد والمجموع، ومن الدور الخطير الذي يقوم به.

فكم من كلمة عَفْوٍ مَسَحتْ وَضَرَ النفوس، وجَلَتْ أحقادَ الصدور، ورَبَطَـــتْ بين القلوب برباط الألفة والمحبة!!..

للقربى بين الناس مكانةٌ، ولعلاقة الرحم حرمة، تُطْمِعُ القريبَ بقريبه، وقد توقعه في المخالفة والخصام، بل إنها تجعل بعض الناس ينبذُ طاعةَ مَنْ هو إمامُهُ، أو وليُّ أمـــره، مع وجود آصرة رحم وقُرْبى. فإذا عاد النابذ إلى سواء السبيل، واعتذر المذنب عـــن الذنب، واعترف بما اقترف؛ غفر وليُّ الأمر له، وعفا عنه، وأصلح له شأنه.

حدّثَ صاحبُ العقد أنّ رجلاً أذنب للخليفة المأمون ذنبًا، فعاتبه فيـــه، فقـــال الرجل: يا أمير المؤمنين!! إنَّ مَنْ حَمَلَ مِثْلَ دالّتي، ولَبِسَ ثوب حُرْمتي، ومَـــتَّ بمثـــل قرابتي اغْتُفِرَ له فوقَ زلتي. قال: صَدَقْتَ يا ابن عمي، وصفح عنه[١٤٤].

[١٤٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٥٧.

www.mtenback.com

وقال بشار بن برد في مثل هذا المعنى[١٤٥]:

سَأُعْتِبُ خِلاَّني، وَأُعْـــذِرُ صـــاحِبي ... بِمـــا غَلَبَتْـــهُ النَّفْـــسُ والغَلْـــوَاءُ

وَمَالِيَ لا أَعْفُو، وَإِنْ كـــانَ سَـــاءَنِي ... وَنَفْسِي بِمَا تَجـــنِي يَـــدَايَ تُسَـــاءُ

وقال معاوية بن أبي سفيان يرد على أبيات قالها مروان بن الحكم[١٤٦]:

غَفَرْتُ ذُنوبَكُمْ، وَعَفَـــوْتُ عَنْكُـــمْ ... وَأَبْـــذُلُ فِيْكُـــمُ مَـــا أَسْـــتَفِيْدُ

وقد كان لأبي سفيان والدِ معاويةَ مواقفُ جليلة سعى فيها بين الأهل والعشيرة، وحض المتخاصمين على العفو والتسامح.

من ذلك ما حدَّث به صاحبُ العقد، قال: وقعت دماء بين حيين من قريـــش، فأقبل أبو سفيان، فما بقي أحد واضعٌ رأسَه إلا رفعَه، فقال: يا معشر قريش! هل لكـــم في الحق، أو فيما هو أفضل من الحق؟ قالوا: وهل شيءٌ أفضلُ من الحق؟ قـــال: نعـــم العفو! فتهادن القوم[١٤٧].

لقد رغَّب أبو سفيان عشيرته - وهو رأسٌ من رؤوسها - في العفـــو، فجعلـــه أفضل من الحق الذي يسعى إليه الطرفان المتخاصمان في القبيلة.

تلك هي فضيلة العفو، وهذا دورها الكبير في المجتمع الواحد، تجمع بين الأهل، وتؤلف بين القلوب، وتمسح أوضارَ النفوسِ، وتزيل الأحقادَ والسخائمَ والضغائنَ مـــن الصدور.

---

[١٤٥] بشار بن برد، ديوانه، جمعه: محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الجزائر، (١٩٧٦م).

[١٤٦] الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: المغانم المطابة في معالم طابة، قسم المواضع، تحقيق حمـــد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩)، ص٢٥٥.

[١٤٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٨٨.

www.mtenback.com

قال بعض الشعراء، وأحسن[١٤٨]:

إِذَا كُنْتُ لاَ أَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ عَنْ أَخٍ ... وَقُلْتُ: أُكَافِيهِ. فَأَيْنَ التَّفَاضُلُ؟

فَإِنْ أَقْطَعِ الإِخْوَانَ فِي كُلِّ عُسْرَةٍ ... بَقِيتُ وَحِيْدًا، لَيْسَ لِي مَنْ أُوَاصِلُ

وَلَكِنَّنِي أُغْضِي الجُفُونَ عَنِ القَذَى ... وَأَصْفَحُ عَمَّا رَابَنِي، وَأُجَامِلُ

قد يقع بين الأهل والعشيرة محذورٌ، وشَرٌّ مستطير ينزل بهم، ويجعل الرجل الحليم يحار فيما يصنع، ويتردد فيما يفعل، فلا يكون ثمة منجاةٌ ومخرجٌ من ذلك إلا بالعفو والصفح الجميل.

لكن هذا العفو لا يقدر عليه إلا ذوو الحلم والبصيرة.

هاهو ذا الشاعر الجاهلي الحارث بن وعلة الشيباني - وكان سيد قومه - يقع في موقف يحار فيه الحليم فلا يدري ما الذي يصنعه. لقد قتل قومه أخاه، فنظر، هل يعفو عنهم تألفًا لهم واستبقاءً على وحدة الصف ولَمِّ الشَّعْثِ أمْ يثأرُ لأخيه منهم، فيأخذهم بدمه؟ قال مخاطبًا محبوبته (أميمة) وشارحًا لها قضيته المحيِّرةَ، والمأزق الذي وُضِعَ فيه[١٤٩]:

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا - أُمَيْمَ - أَخِي ... فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاً ... وَلَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي

إنّ الشاعر لم يجدْ أمام الخطب الجلل إلا العَفْوَ عن قومه القتلة، كيف لا يعفو وهو في العشيرة سيدٌ، وهو من كبرائها ورجالاتها؟!

---

[١٤٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص١٣٩.

[١٤٩] المرزوقي: شرح الحماسة، ج١، ص٢٠٤.

www.mtenback.com

وتنتاب مثل هذه الحيرة الشاعر الجاهلي المتلمس، إذ كيف ينتقم من أهله وعشيرته أن أساؤوا إليه؟ إنه إن فعل ينتقم من نفسه، ويكون مثل من يقطع كفّه بكفّه، إنه لا يملك إلا العفو عن أقربائه، يقول[١٥٠]:

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوالي أَرادُوا نَقِيصَتي ... جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ العَرانين مِيْسَما
وَمَا كُنْتُ إلاَّ مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهُ ... بِكَفٍّ لهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمَا
فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرى ... مَسَاغًا لِنَابَيْهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

ولقد وقعت الشاعرة الجاهلية جليلة بنتُ مرّة الشيباني في موقف مماثل سَبّبَ لها الحيرةَ، وهَدَّ ركنَ بيتها الركين، فقد قتل أخوها جَسّاسُ بنُ مرةَ الشيباني زوجها كليب بن ربيعة.

وهذا الموقف الذي تعرضت له الشاعرة يَذْهبُ بِلُبِّ الحليم، وينأى بكل عقل واعٍ سليم، لأن فيه من الهول ما يُشَتِّتُ الفكرَ، ويعقد اللسانَ، ويوقعُ في الحَيرة والغَمِّ سنين. تقول جليلة وهي تصور الموقف[١٥١]:

جَلَّ عِنْدي فِعْلُ جَسَّاسٍ فَيَا ... حَسْرَتي عَمَّا انْجَلَى، أَوْ يَنْجَلِي
فِعْلُ جَسَّاسٍ عَلَى وَجْدِي بِهِ ... قَاطِعٌ ظَهْرِي، ومُدْنٍ أَجَلِي
لَوْ بِعَيْنٍ فُقِئَتْ عَيْنِي سِوَى ... أُخْتِها، فَانْفَقَأَتْ، لَمْ أَحْفُلِ
يَا قَتِيلاً قَوَّضَ الدَّهْرُ بِهِ ... سَقْفَ بَيْتِيَّ جَمِيعًا مَنْ عَلِ
هَدَمَ البَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ ... وَانْثَنَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الأَوَّلِ
إِنَّنِي مَقْتُولَةٌ، قَاتِلَةٌ ... وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْتَاحَ لي

---

[١٥٠] ديوان المتلمس، ص٥٠، والشجاع: الأفضوان.

[١٥١] صفدي وحاوي: موسوعة الشعر العربي، ج٣، ص١٠١-١٥٠.

www.mtenback.com

إن الأمر لو كان بيد الشاعرة جليلة لعَفَتْ عن أخيها جسَّاس، فليس لها من العفو بُدٌّ. ولن تلجأ هي إلى قطع يدها بيدها.

وما كان أكثر تلك المواقف الغريبة المهيبة بين الأهل والعشيرة، وقد كان العفو والصفح فيها يحتوي كلَّ مشكلة، وينهي كلَّ معضلة، ويستوعب كل خلاف، من ذلك موقف الشاعر معاوية بن مالك (معوّد الحكماء) في الجاهلية، فقد رأى طغيان الشر في قبيلته، وأعمال الجُهَّالِ منهم خاصةً، فأصلح ما فسد فيهم، وغفر زلّات الكثير منهم، وقال في ذلك[١٥٢]:

نُعْطِي العَشِيرةَ حَقَّها وَحَقِيقَها ... فِيها، وَنَغْفِرُ ذَنْبَها ونَسُودُ
وَإِذَا تُحَمِّلُنا العَشِيرةُ ثِقْلَها ... قُمْنا بِهِ، وَإِذَا تَعُودُ نَعُودُ

وللشاعر الجاهلي عَبيدِ بن الأبرص الأسدي موقفٌ صريحٌ وقفه حيالَ بَعْض من تمرد على القبيلة، ولم يعبأ برأي ذوي الرأي فيها، ولم يصغ إلى قول ناصح مرشد، يقول[١٥٣]:

إِذَا كُنْتَ لَمْ تَعْبَأْ بِرَأْيٍ، وَلَمْ تُطِعْ ... لِنُصْحٍ، وَلا تُصْغِي إِلَى قَوْلِ مُرْشِدِ
وَلا تَتَّقِي ذَمَّ العَشِيرةِ كُلِّها ... وَتَدْفَعَ عَنها باللِّسَانِ، وَباليَدِ
وَتَصْفَحَ عَنْ ذِي جَهْلِها، وتَحُوطَها ... وَتَقْمَعَ عَنْها نَخْوَةَ المُتَهَدِّدِ
فَلَسْتَ – وَإِنْ عَلَّلْتَ نَفْسَكَ بِالمُنَى – ... بِذِي سُؤْدَدٍ بَادٍ، وَلا كَرْبَ سَيِّدِ

وقال بعض الشعراء[١٥٤]:

---

[١٥٢] صفدي وحاوي: موسوعة الشعر العربي، ج٣، ص٤٣٧.

[١٥٣] المصدر السابق، ج٢، ص٥٦٦، وديوان عبيد، ص: ٤١.

[١٥٤] المبرد: كتاب الفاضل، ص٩٢.

www.mtenback.com

إِنّي لَيَمْنَعُنِي مِـنْ ظُلْـمِ ذِي رَحِـمٍ لُبٌّ أَصِيْلٌ، وَحِلْمٌ غَـيْرُ ذي وَصَـمِ
إِنْ لانَ لِنْـتُ، وَإِنْ دَبَّـتْ عَقارِبُـه مَلأْتُ كَفَّيْه مِنْ عَفْوٍ، وَمِـنْ كَـرَمِ

ما أروع هذه المنزلة! وما أحلى أخلاق من يتحلى بشيمة العفو بين ذوي رحمه، يحوطهم برعايته، ويصفح عن الجاهل منهم والمسيء، ويتجاوز عن الخطايا، ويعفو عن الزلات، إمساكًا على وحدة الأهل، وإبقاءً على تآلف العشيرة، وحفاظًا على صلات القربى.

ويقارن المقنع الكندي بينه وبين بني عمه، فهم يسيئون إليه ولكنه يصفح عنهم، يأكلون لحمه ويفر لحومهم، يهدمون مجده ويبني مجدهم. إنها أخلاق رفيعة، تقابل الإساءة بالإحسان والذنب بالصفح والغفران، وخاصة الأهل والعشيرة، إنها صفة السادة ألا يحملوا حقدًا، يقول[١٥٥]:

وَإِنَّ الَّذي بَيْنِـي وَبَيْـنَ بَنِـي أَبِـي وَبَيْنَ بَنِـي عَمِّـي لَمُخْتَلِـفٌ جِـدّا
إِذَا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَـرْتُ لُحُومَهُـمْ وَإِنْ يَهْدِموا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْـدا
وَإِنْ ضَيَّعوا غَيْبِي حَفِظْـتُ غُيُوبَهِـم وَإِنْ هُمْ هَوَوْا غَيِّي هَوِيْتُ لَهُمْ رُشْـدا
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُـرُّ بِـي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرّ بِهِـمْ سَـعْدا
وَلا أَحْمِلُ الحِقْـدَ القَدِيـمَ عَلَيْهِـمُ وَلَيْسَ رَئِيس القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْـدا

وكم كان رائعًا موقف أبي الأسود الدؤلي من بعض مواليه في قوله[١٥٦]:

فَكُنْتُ إِذَا المَوْلَى بَـدا لِـيَ غِشُّـه تَجَاوَزْتُ عَنْهُ وَاسْتَدَمْتُ بِـهِ غَـدا
لِتُحْكِمَـهُ الأَيَّـامُ، أَوْ لِـتَرُدَّهُ عَلَيَّ، وَلَمْ أَبْسُطْ لِسَـانًا، وَلاَ يَـدَا

(١٥٥) الأعلم الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص٦٤٦.

(١٥٦) أبو الأسود الدؤلي:ديوانه، ص٧٠.

www.mtenback.com

وقوله في ابن عم له، يعبّر عن وصله لرحمه وأن ذلك يجعله غافرًا للزّلات، عافيًا[١٥٧]:

وَأَجْزِيهِ بِالحُسْنَى، وَأَغْفِرُ ذَنْبَهُ ... إِلَيَّ، وَلا أَجْزِي بِسَيِّئَةٍ مِثْلا

وقوله لزوجه:

خُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي ... وَلا تَنْطُقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

فهو يحثها على طلب العفو منه إذا هي أغضبته، استبقاءً لمودته ومحبته لها، فهي إلى ذلك أحوجُ، وإلى طلبه أعوزُ. ولقد صوّرَ الحديثُ النبويُّ قيمةَ العفو عن القرابة إذا بدا منها سوء، وذلك عندما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، فقال ﷺ: «إن كان الأمر كما تقول فإنما تُسفُّهُم المَلَّ»[١٥٨].

العفو في أمثال العرب وحكمهم:

والعرب أهل حكمة وأمثال بطبعهم، فقد صدرت عن حكمائهم ورجالاتهم وذوي الرأي فيهم أقوال حكيمة وأمثال تتصل بحياتهم وتطلعاتهم ورغباتهم. فجاءت صالحة لكل قضية أو حادثة تشبه الحَدَثَ الذي وقع لقائلها أول مرة، فتعاد كما قالها أولُ متمثل بها، دون تغيير في شيء من ألفاظها، ولا بأس عندهم أنْ تكونَ في الاستعمال مخالفة للقياس أيًا كان نوعه.

إن للعفو إرشاداته ومعانيه في كتب الأمثال المنسجمة مع بنيان الحضارة العربية والإسلامية، ومن هذه الأمثال:

---

[١٥٧] أبو الأسود، ديوانه، ص١٤٣.

[١٥٨] مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، بيروت، دار الفكر، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨هـ)، الحديث: ٤٦٤٠، ومسند الإمام أحمد، أرقام الحديث: ٤٦٥١، ٨٩٧٥، ٩٨٩٤.

www.mtenback.com

ـــ التثبت نصف العفو. ذكره الميداني، وقال: دعا قتيبة بن مسلم برجل ليعاقبه، فقال الرجل: أيها الأمير!!.. التثبت نصف العفو، فعفا عنه، وذهبت كلمته مثلاً[١٥٩].

ذلك لأن التثبت من خطأ المذنب إنصافٌ له وبعدٌ عن الظلم، وفيه تروٍّ وتعقُّل.

وإذا بان تقصيره وذنبه واستحق العقوبة، أمكن العفو والصفح عنه عن قـــدرة، وهذا خير العفو. وكذلك قالوا: خير العفو ما كان عن القدرة[١٦٠].

والحق أنّ اعتذار المخطئ واعترافه بفعله يستوجب من الكريم العفو عنه، لـــذا قالوا:

ـــ شفيع المذنب إقرارُه، وتوبته اعتذارُه، فكيف لا يُعْفَى عنه[١٦١].

وإقرار المذنب سبيل ندمه وتوبته ورجوعه، وبذا يستحق العفو، وفق قـــاموس المكارم العربية. قالوا:

ـــ الاعتراف يهدم الاقتراف[١٦٢].

وإذا كان الإنسان دائم المحاسبة لإخوانه لا ينزل عن حقّه بصفحٍ وغفران، نفـــر من الناس، واستوحش منه الأصحاب وقد قال العرب:

ـــ لا يصلح رفيقًا من لم يبتلع ريقًا: قال الميداني: يضرب لمن يكظـــمُ الغَيْـــظَ، ويعفو عن زلّات الصديق، وأراد بالريق الغضب[١٦٣].

والعفو صفة تتناغم مع حضور الشخصية المتوازنة القوية. تلك الشخصية الـــتي تقدر أن تهيئ أسباب العقاب للمذنب.. ثم تعفو عنه:

ـــ إن المقدرةَ تُذْهِبُ الحفيظةَ. والحفيظة الغضب[١٦٤].

---

[١٥٩] الميداني: مجمع الأمثال: ج١، ص١٤٣.

[١٦٠] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٢٤٣.

[١٦١] المصدر السابق، ج١، ص٣٩١.

[١٦٢] المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٣.

[١٦٣] المصدر السابق، ج١، ص٢٤٢.

[١٦٤] المصدر السابق، ج١، ص١٤.

www.mtenback.com

وليس العفو دائمًا دليل قوة فقد قيل:

ـــ بعض العفو ضعف، وبعض الحلم ذل[١٦٥].

وليس من الحكمة التعجّل بإطلاق الأحكام على الناس. إنّ من آفات ذلك تفويتُ فضيلة العفو. وقد قالوا:

ـــ تعجيلُ العقابِ سَفَهٌ[١٦٦].

وإذا كان خير العفو عن قدرة، فإن:

ـــ العقوبةُ ألأمُ حالاتِ القدرة: يعني أن العفو هو الكرم[١٦٧].

وكانوا يتناصحون بالعفو، وهم في ذروة القوة والقدرة، وهذا من أخلاق العرب. كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري واليهِ: «... واستدمِ النعمةَ بالشكرِ، والمقدرة بالعفو، والنصرة بالتواضع»[١٦٨].

وقال معاوية: «إني لأرفعُ نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكثر من حلمي، وعورة لا يواريها مئزري»[١٦٩].

وقال أيضًا: «العقل والحلم والعلم أفضل ما أعطي العباد، فإذا ذُكِّر ذَكَرَ، وإذا أُعْطِيَ شَكَرَ، وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وإذا غَضِبَ كَظَمَ، وإذا قَدَرَ عَفَا»[١٧٠].

ومن مشهور الحكم: «ما قُرِنَ شيءٌ إلى شيء أفضلُ من حلم إلى علم، ومن عفو إلى مقدرة»[١٧١].

---

[١٦٥] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص١٢٠.

[١٦٦] المصدر السابق، ج١، ص١٢٤.

[١٦٧] المصدر السابق، ج١، ص٣٧.

[١٦٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٨٨.

[١٦٩] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٤٤٤.

[١٧٠] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٣.

[١٧١] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٤٤٤.

www.mtenback.com

وقال بعض الحكماء: خير مناقب الملوك العفو[١٧٢].

أحب الأشياء إلى الله أربعة: القصد عند الجدة، والعفو عند المقدرة، والحلم عند الغضب، والرفق بعباد الله[١٧٣].

لا سؤدد مع انتقام، ولا رئاسة مع عزة وإعجاب، ولا يزاد الذَّنْبُ عِظَمًا إلاّ ازداد العفوُ فضلاً[١٧٤].

ليس الإفراطُ في شيء أجوَد منه في العفو، ولا هو في شيء أقبح منه في العقوبة[١٧٥].

العفو يفسد من الخسيس بمقدار ما يصلح من الرفيع[١٧٦].

وقد نجد لدى الشعراء أبياتًا في الحكمة تتصل بالعفو، وهي مما يَصِحُّ التمثلُ به، من ذلك قولُ الشاعر[١٧٧]:

أُعْفُ عَنّي، فَقَدْ قَدَرْتَ ، وَخَيْرُ الـ ـعَفْوِ عَفْوٌ يَكُونُ بَعْدَ اقْتِدارِ

وقول الحسن الأبهريُّ[١٧٨]:

أَمَا يُحْسِنُ مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يَغْضَبَ أَنْ يَرْضَى

أراد أن يعفو.

وقولُ الأشبيلي الأندلسي في مديحه خليفة الموحدين عبدَ المؤمنِ بنِ عليٍّ[١٧٩]:

---

[١٧٢] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٤٤٢.

[١٧٣] المصدر السابق، ج١، ص٤٤٤.

[١٧٤] المصدر السابق، ج١، ص٤٤٤.

[١٧٥] المصدر السابق، ج١، ص٤٤٤.

[١٧٦] المصدر السابق، ج١، ص٤٤٤.

[١٧٧] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٢٤٣.

[١٧٨] ابن الفُوَطي: تلخيص مجمع الآداب، ج٤، ص٦٢٧.

[١٧٩] ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة، ص١٥٧.

www.mtenback.com

مَـا زَالَ يُغْضِـي، فَيُعْطِـي صَافِحًـا كَرَمًـا
وَالصَّفْحُ قَدْ يَحْمِـلُ العَـاصِي عَلَـى الزَّلَـلِ

وإن وقع العفو مكانه الحقيقي، وأصاب من يستحقه من نفس إنسان كريم الخصال، فعندها يكون العفو عنه قيدًا آسرًا لا ينفك قال المتنبي[١٨٠]:

وما قَتَلَ الأَحْـرارَ كَـالعَفْوِ عَنْهُـمُ ومَنْ لكَ بالحُرِّ الَّذي يَحْفَـظُ الْيَـدَا

وما سقناه من شواهد في الحكم نثرية كانت أو شعرية يشير إلى أن للعفو وجودًا متميزًا في فكر العرب، وفي أدب الأمثال عندهم، وأنه خلق من أخلاقهم وسجية من سجاياهم.

وروي أن معاوية بن أبي سفيان كان من أكثر الناس حلمًا، وأوسعهم عفوًا، وأشدهم إغضاءً عمَّنْ نابذَه، وأحسنهم احتمالاً لمن عازَّهُ وعانَدَه[١٨١]. وقد جعل معاوية العَفْوَ من المروءة، عندما سُئِلَ مرّةً: «ما المروءة؟ قال: الحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة»[١٨٢].

وتحدث المهلب بن أبي صفرة عن أقوامٍ ينفع فيهم أثر العفو ويعود بأحسن النتائج السلوكية، قال: «لا شيء أقوى للملوك من العفو، فإن الملك إذا وثقت منه رعيته بحسن العفو لم يرجعها الذنب وإن عظم»[١٨٣].

وأوصى الخليفة أبو جعفر المنصور ابنه المهدي قائلاً: «الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلاّ الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة»[١٨٤].

---

[١٨٠] أبو الطيب المتنبي: ديوانه بشرح الواحدي، ص٥٣٢.
[١٨١] المبرد: الفاضل، ص٨٦.
[١٨٢] المبرد: الكامل، ج١، ص٣٩، والفاضل، ص٨٨.
[١٨٣] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٤٤٢.
[١٨٤] المبرد: الفاضل، ص٨٨.

www.mtenback.com

وإذا كان العقابُ حقًا والعفوُ تكرّمًا، فإن العفو عن المسيء حسنُ الأثر بجملته، ولو وقع أحيانًا على من لا يستحق ولا يعرف فضله لأثار في نفس فاعله ندمًا. إنه ندم على السماح وخير من ندم بسبب ظلم فيه لا يستحق. قال جعفر بن محمد: «لَئِنْ أندمَ على العفو أحبُّ إليَّ من أن أندمَ على العقوبة»[١٨٥].

تلك أقوال الملوك والقادة، وهذه هي شمائل العرب الذين يتخلّقُون بالعفو والصفح، ويتواصون به فيما بينهم، فإذا غَفَلَ عنه أحدُهم كان له من بطانته أو رعيته من يذكره به.

ولقد استغل الشعراء هذه الخصلة في الخلفاء والقادة. بل إن أفرادًا كثيرين ممن خرج على طاعة الإمام، ونابذه العداء استنبطوا هذه الخصلة من قلوب الحكام، حين كان أحدهم يحسُّ أنَّ الانتقامَ وشيكٌ، والقَتْلَ مُحْتَمَلٌ. قال أحد الشعراء مخاطبًا أميرًا أوشكَ أن يبطش به[١٨٦]:

اقْبَلْ مَعَاذِيْرَ مَنْ يَأْتِيْكَ مُعْتَذِرًا ... إنْ برَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرَا

فَقَدْ أَطاعَكَ مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ ... وَقَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرَا

وقال شهابُ الزّهريُّ، وكان ممن اشترك في فتنة ابن الأشعث، مخاطبًا عبد الملك ابن مروان: «يا أمير المؤمنين! إنّ مثلَكَ إذا عفا لم يُعَدِّدْ، وإذا صَفَحَ لم يُثَرِّبْ، فأعجبه ذلك، وعفا عنه»[١٨٧].

ونقل صاحب العقد أن يزيد بن راشد دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك، والبيعة لعبد العزيز بن الوليد، فنذر سليمان قَطْعَ لسانه، فلما أفضتِ الخلافةُ إليه دخل

---

[١٨٥] المبرد: الفاضل، ص٨٩.

[١٨٦] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٤٢. ونُسِب البيتان أيضًا إلى الإمام الشافعي.

[١٨٧] المصدر السابق، ج٢، ص١٤٣.

www.mtenback.com

عليه يزيد، فجلس على طرف البساط مفكرًا، ثم قال: «يا أمير المؤمنين!.. كنْ كنبي الله ﷺ، ابتليَ فصبر، وأُعطِي فَشَكَرَ، وَقَدرَ فَغَفَرَ، قال سليمان: من أنتَ؟ قال: يزيد ابن راشد. فعفا عنه»(١٨٨).

إن هذه المواقف التي ذكرناها، ومواقف أخرى سبق ذكرها تدل دلالةً بيِّنةً على أمرين:

الأول: أن العفو غدا لدى أولي الأمر طبيعةً وخُلُقًا، ومن خَلاَ منه وُجِدَ عنده مَنْ يُذَكِّرُهُ به، وبضرورة التمسك بهذا الخلق الكريم من أخلاق العرب.

الثاني: أن الناس - والشعراء منهم - عرفوا في ولاة الأمر هذه الطبيعة، فضمنوا لأنفسهم النجاة من البطش بهم.

ثمة أمرٌ لافتٌ للنظر، وهو أن العفو نال حظًا لدى القضاة في مسائلهم، ولدى علماء الأصول.

وهو في مسائل القضاء كثير. فمن المعلوم أنَّ مَنْ عاقَبَ بمثلِ ما عُوقبَ به فذلك حقٌّ له، وليس عليه في ذلك إثمٌ، إلا أنَّ الله جعلَ العَفْوَ خيرًا من العقاب، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾(١٨٩).

قال ابن الأزرق: إن الانتقام من المذنب جائز، مع وجود فضيلة العفو، والعفو أفضل(١٩٠).

ولو أننا تناولنا بعض كتب الأقضية، ونظرنا فيما يعرض فيها من أحكام بين فقهاء المسلمين لوجدنا أنه بالعفو يميز بين حُكْمَيْنِ من تلك الأحكام في بعض الأحيان.

---

(١٨٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج٢، ص١٦١.

(١٨٩) سورة النحل: ١٢٦.

(١٩٠) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٤٤٤.

www.mtenback.com

من ذلك أنَّ العلاَّمةَ الماوردي تعرض للحكم في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾[١٩١].

قالَ الماوردي: لم يجعلِ الشافعيُّ قولَهَ تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ عائداً إلى الكفارة، لأنها من حقوق الله تعالى التي لا تسقط بالعفو، وجعله عائداً إلى الدية لسقوطها بالعفو[١٩٢].

فالواضح أنَّ حق الله في قتل نفسٍ مؤمنة لا يسقطه عفو أهل القتيل عن القاتل، بل إن الذي يسقط على مذهب الإمام الشافعي إنما هو حق أهله إذا عَفَوْا.

وردت ألفاظ العفو ومرادفاته في الدعاء كثيراً، ولعل أروع هذه الأدعية وأجمعَها ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف.

ومن كرم الله على نبيه أنه تلطَّف به فبشره بالعفو عنه قبل أن يخبره بالذنب، وهو إذنه لأولئك المخلفين الذين قعدوا عن الخروج من المدينة، ولم يشاركوا إخوانهم المسلمين في جيش العسرة. وذلك في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[١٩٣].

ومن ذلك قوله تعالى في دعاء مرفوع من العباد إلى الخالق العظيم ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[١٩٤].

---

[١٩١] سورة النساء: ٩٢.

[١٩٢] الماوردي علي بن محمد بن حبيب: أدب القاضي، بغداد، مطبعة الإرشاد، (١٣٩١هـ)، ج١، ص٣١٥-٣١٧.

[١٩٣] سورة التوبة: ٤٣.

[١٩٤] سورة البقرة: ٢٨٦.

www.mtenback.com

وقد توسل الشعراء بالدعاء طالبين العفو من القادر عليه كما جاء في قول تاج الدين المالكي[١٩٥]:

فالْطُفْ بِذِي أَسَفٍ يُدْمِي أَنَـــا ملَـــهُ ... عَضًّا، وَيَقْرَعُ مِنْـــه سِـــنٌّ ذِي نَـــدَمِ

فَاغْفِرْ وَسَامِحْ، وَقَابِلْ بِالرِّضَا كَرَمًـــا ... وَالعَفْوِ عَنْ سالِفِ التَّقْصِيرِ في الخَـــدَمِ

ومن أحسن ما قيل في طلب العفو قول أبي نواس الذي يزعم مؤرخـــو الأدب أنه من آخر شعره العفو إذا لم ييأس فطلبه وألح عليه وارتفع أمله بعفو ربه محتجًا بضعفه وإيمانه حيث يقول[١٩٦]:

يَا رَبِّ إن عَظُمَـــتْ ذُنُوبِـــي كَـــثْرَةً ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِـــأَنَّ عَفْـــوَكَ أَعْظَـــمُ

إِنْ كَـــانَ لا يَرْجُـــوكَ إِلاَّ مُحْسِـــنٌ ... فَمَنِ الَّذِي يَدْعُـــو وَيَرْجُـــو المُجْـــرِمُ

أَدْعُوكَ ربِّ كَمَـــا أَمَـــرْتَ تَضَرُّعًـــا ... فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَـــنْ ذا يَرْحَـــمُ؟

مَـــالِي إِلَيْـــكَ وَسِـــيلَةٌ إِلاَّ الرَّجَـــا ... وَعَظِيمُ عَفْـــوِكَ ثُـــمَّ إِنِّـــي مُسْـــلِمُ

إنّ ما قدمناه من شواهد أدعية اشتملت على طلب العفو والصفح والمغفرة مـــن الله. هَمستَ بتلك الدعوات الحارّة قلوب أصحابها، ملتمسين عَفْوَ الله تعالى. ولعل أقواها صدقًا وحرارةً، وأشدها تأثيرًا في النفس والقلب والوجدان دعوات الأنبياء والصالحين.

فضيلة العفو والترغيب فيه:

العفو خلق محبب يرتاح له العافي والمعفو عنه على حد سواء، ويسعد به النـــاس جميعًا، لأنه يدخل السرور إلى قلوبهم، وتأنس به صدورهم، وتحبه نفوسهم وترتـــاح إليه.

---

[١٩٥] د. عايض الردادي: الشعر الحجازي، ج١، ص١٩٤.

[١٩٦] أبو نواس، الحسن بن هاني: ديوانه، ص٦١٨.

www.mtenback.com

وكثيرًا ما أدخلت مراسيم العفو التي كان يصدرها الملوك والخلفاء والرؤساء السرور على القلوب. فكان عفوهم عن السجناء والمجرمين والفارين، في أول عهدهم بالملك، بردًا على الأكباد، وثَلْجًا يُهَدِّئُ حَرَّ النفوس الخائفة، التي كان كثيرٌ منها ينتظر الموت بين الحين والآخر.

وقد حدثتنا تواريخُ الحضارات والدول عن ذلك منذ القديم.

وتخلّق أجدادُنا العرب بخلق العفو منذ فجر تاريخهم، ورأينا فيما مرّ شواهدَ على ذلك منذ عصر الجاهلية.

ولما جاء الإسلام أَكَّدَ بسماحته على التمسك بهذه الفضيلة، ودعا إلى التسامح والتجاوز عن الذنوب، وحضّ الناس جميعًا على العفو والصفح في آيات كريمة وأحاديث شريفة، وعدها العلماء من فضيلة العفو الجامعة بين خَيْرَيِ الدنيا والآخرة، ورأى الكثيرون أنّ في العفو جَمْعًا بين القلوب، وتأليفًا بين النفوس، وربطًا بين المشاعر والأحاسيس برباط التسامح الذي ينتهي إلى الألفة والمحبة، ويلغي العدوان والخلاف والتنابذ، وفي ذلك يكون رضوان الله وطاعته، وبه يتم البعد عن سخطه ونقمته.

لقد ذَمَّت العرب الإفراط في كل أمر، إلا العَفْوَ، فإنها رأت الإفراط فيه محببًا إلى النفوس لدى طرفيه في كل وقت وحين، وقال بعض الحكماء: «ليس الإفراط في شيءٍ أجودَ منه في العفو، ولا هو في شيءٍ أقبحَ منه في العقوبة»[١٩٧].

ولقد عَدَّهُ بعضُهم سببًا من أسباب التفاضل في المجتمع. قال بعض الشعراء[١٩٨]:

إِذَا كُنْتُ لا أَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ عَنْ أَخٍ وَقُلْتُ: أُكَافِيْهِ، فَأَيْنَ التَّفَاضُلُ؟

---

[١٩٧] ابن الأزرق: بدائع السلك: ج١، ص٤٤٤.

[١٩٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص١٣٩.

www.mtenback.com

وَلَكِنَّنِي أُغْضِي الجُفُونَ عَنِ القَذَى وَأَصْفَحُ عَمَّا رابَنِي وَأُجامِلُ

وقال الشيخ الغزالي رحمه الله: «كم من معارك تُبْتَذَلُ فيها الأعراضُ، وتعدو الشتائمُ المحرمة على الحرمات العزيزة.. وملاكُ النجاةِ من هذه المنازعات الحادة تغليبُ الحِلْمِ على الغضب، والعفو على العقاب. ولا شك أن الإنسان يحزنه أن تهجم على شخصه، أو على من يحب، وإذا واتته أسباب الثأر سارع إلى مجازاة السيئة بمثلها، ولا يَقِرُّ له قرارٌ إلا إذا أدخل من الضيق على غريمه بقدر ما شعر هو نفسه من ألم.

لكنَّ هناك مسلكًا أنبل من ذلك، وأرضى لله، وأدلّ على المروءة، هو أن يبتلع المرء غضبه فلا ينفجرُ، وأن يقبض يده فلا يقتصُّ، وأن يجعل عفوه عن المسيء من شكر الله الذي أقدره على أن يأخذ بحقه إذا شاء»[١٩٩].

تلك هي فضيلة العفو التي بها يتمايز الناس، ويتفاضلون فيما بينهم. فما أحرانا أن نتخلق بها في كل موقف، وأن نتمثلها في سلوكنا في كل زمان ومكان. وقديمًا قيل: «لا يزداد الذنبُ عِظَمًا إلا إذا ازداد العَفْوُ فَضْلاً»[٢٠٠].

كيف نسلك السبيل إلى التخلق بالعفو؟ وأنّى لنا أنْ نَعْفُوَ ونحن في حالة غضب؟ وهل الوصول إلى قرار العفو أمر ممكن للجميع؟

يحتاج الأمر إلى شيء غير قليل من الحكمة والتعقل وإمساك النفس، ثم سماع ما يقوله المذنب المتهم، وما يقدمه من أعذار، وأن نتثبت من الأمر، وقديمًا قيل في مثل عربي: «التثبت نصف العفو»[٢٠١].

---

[١٩٩] محمد الغزالي: خلق المسلم، الدوحة، ص١١٤.

[٢٠٠] ابن الأزرق: بدائع السلك: ج١، ص٤٤٤، وانظر: مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، الحديث: ٤٦٨٩.

[٢٠١] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص١٤٣.

www.mtenback.com

وإذا وجدنا المذنب يدلي بحجة، أو يقدم عذرًا، أو يتنصل من ذنب فعلينا قَبُولُ ذلك منه، والعفو عما بَدَرَ منه من ذنوب وآثام. وسبق قوله ﷺ: التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[٢٠٢].

وقد فتحت أخلاقنا العربية الأصيلة للعفو بابًا هو باب قبول العذر من المخطئ إذا أخطأ واعتذر، وتلك أولى مراحل الفضل المؤدي إلى العفو، ويأتي بعد ذلك صدور العفو عن سعة صدرٍ، وطواعية واختيار.

والمعتذر عن الذنب حَرِيٌّ بأن ينال من العفو والصفح ما يريح ضميره، ويهدئ مشاعره، ويطمئن قلبه.

وما أحسن تعبير محمود الوراق عن هذا المعنى عندما ذكر أن المسيء إليه يسدي إليه يدًا لأنه يعلمه الحلم والعفو، وهما من أجل الصفات، يقول[٢٠٣]:

إِنِّي شَكَرْتُ لِظَالِمِي ظُلْمِي ... وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي

وَرَأَيْتُهُ أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا ... لَمَّا أَبَانَ بِجَهْلِهِ حِلْمِي

وَغَدَوْتُ ذا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ ... وَغَدا بِكَسْبِ الظُّلْمِ وَالإِثْمِ

وما أحوج الناس في معاملاتهم إلى التسامح، والرحمة. وللعفو قطبان يتجاذبان: المقترف بأمس الحاجة إلى العفو، والعافي بحاجة لأن يرتفع لمقام ذوي الفضل، وذلك بتأليف القلوب من حوله بالعفو والصفح والغفران.

وقال رجل لبعض الملوك: «أنا من لا يحاجك عن نفسه، ولا يغالطك في جرمه، ولا يلتمس رضاك إلا من جهة عفوك، ولايستعطفك إلا بالإقرار بالذنب» وكان الملك واجدًا على هذا الرجل، فعندما سمع مقالته عفا عنه[٢٠٤].

---

[٢٠٢] ابن ماجة: السنن، كتاب الزهد، الحديث: ٤٢٤٠.

[٢٠٣] ديوان محمود الوراق، تحقيق: د. وليد قصاب، عجمان، (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص٢٣٦.

[٢٠٤] ابن عبد ربه : العقد الفريد، ج٢، ص١٤١.

www.mtenback.com

وكم أدى اعتذار إلى عفو وصفح وغفران! وكم اعترف من اقترف بما فعل وفرط! فكان اعترافه هادمًا لذنبه وجهله،ومدنيًا إلى القبول، وطريقًا تؤدي إلى العفو عنه، وإلى الصفح والغفران.

إنّ ذلك مدعاة لتآلف القلوب، وجمع الشمل، وتلاشي ضغائن النفوس وسخائم الصدور.

فبالعفو وَحْدَهُ تصفو القلوب، وتزول مواجد النفوس، ويجد التآلف طريقَهُ سهلة ليدخل إلى أعماق النفس فيمسح منها الوَضَرَ، ويزيل الأذى والحقد والضغينة.

يغلب على النفس البشرية أن تكون مطبوعة على حب الخير، وإنّ العفو لخير، بل إنه من أفضل الخير. إليه ترتاح القلوب، وتتطلع النفوس، وتميل الأكباد الخائفة من حر ما تجد.

ولكن هل الناس كلهم في ذلك سواء؟ أليس فيهم من يشذ عن المجتمع أو يخرج على الإجماع فيه؟

أليس ثمة أنصار ودعاة للانتقام والشر؟ أليس هناك من ينادي بضد العفو، ويدعو إلى الثأر والعقاب؟

بلى إن للشر دعاة يصرخون بغير العفو، ويطلبون بأن يفشو القتل والانتقام.

إنّ الذي يقع في مأزق وحرج من الناس، ويمتلك القدرة والسطوة والسلطان، ولا يعفو عمن أوقعه فيما هو فيه فهو عدو من أعداء العفو إن انتقم، ومن دعاة الشر إن رفض المغفرة، و لم يجنح إلى الصفح.

والذي يناله ضيم من الناس، وهو صاحب سلطان وقدرة، ثم لا يتنازل عن حقه، ويسلك للانتقام أكثر من وجه، ويندفع مع الشر في كل ناحية، فهو من أعداء العفو.

www.mtenback.com

حدث الهيثم بن عدي قال: أُتِيَ الحجاجُ بامرأة حرورية (أي من الخوارج)، فقال لأصحابه: ما تقولون في هذه المرأة؟ قالوا: اقتلْها. أصلح الله الأمير، ونَكِّلْ بها غَيْرَها، فابتسمتْ، فقال الحجاج: لِمَ ابتسمت؟ قالت: لقد كان وزراءُ أخيك فرعونَ خيراً من وزرائك يا حَجَّاجُ! استشارهم في قتل موسى، فقالوا: «أَرْجِهِ وأخاه»[٢٠٥] وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلي، فضحك الحجاج، وعفا عنها[٢٠٦].

ومن طرائف الأشعار التي تدور في فلك العفو، ما أنشده وزير فرّ من الحاكم بأمر الله العبيدي الذي حاول الإمساك به لكن الوزير المغربي الشاعر نجا من قبضته وأنشد يصف ما يجب أن يفعل الرجل الكريم إذا قدر[٢٠٧]:

كُنْ حَاقِدًا ما دُمْتَ لَسْتَ بِقَادِرٍ ... فَإِذا قَدَرْتَ فَحَلِّ حِقْدَكَ وَاغْفِرِ

وَاعْذُرْ أَخَاكَ إِذا أَسَاءَ فَرُبَّما ... لَجَّتْ إِسَاءَتُهُ إِذَا لَمْ تَعْذُرِ

وقال بعض الشعراء مخاطبًا واليًا وَجَد عليه مَوْجِدَةً، فلم يسامحْه أو يقبلْ عذره[٢٠٨]:

إِذَا مَا امْرُؤٌ مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تائبًا ... إِلَيْكَ، فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ، فَلَكَ الذَّنْبُ

وعندما قال المتنبي[٢٠٩]:

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمِ

هاجمه ابن عبد البر قائلاً: «وهذه الأخلاق أخلاق الفسّاق، ومن لم يتأدب بأدب القرآن، ولا استنّ بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح».

---

[٢٠٥] إشارة إلى الآية في سورة الأعراف: ١١١.

[٢٠٦] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٧٤.

[٢٠٧] الوزير المغربي: أدب الخواص، ص٤٤.

[٢٠٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٢٧.

[٢٠٩] المتنبي: ديوانه، ج٤، ص٢٥٣.

www.mtenback.com

ولو أننا تصفحنا تراثَنا العربيَّ وما دُوِّنَ فيه من أنواع العفو لوقعنا على شواهد حق وصدق تدين أعداء العفو، وتفضح دورهم في تأريث الشرّ، ونبذ الصفح.

من ذلك ما حدّث به أبو هلال العسكري، قال: «قال حفص بن سليمان الخلاّلُ وزيرُ السفاح العباسي، وكان الخليفة السفاح قد هم بالعفو عن جماعة من بني أمية: العفو مقربٌ من الله، مباعدٌ من النار إذا قُصِدَ طريقُه، وأصيب به أهله. فأما هؤلاء الذي تضمر قلوبهم غدرًا، ويُورِي رمادُهم جَمْرًا لم تَقِلَّ ضغائنُهم، ولا فنيت بوائقهم، فالقتل لهم أشفى، والراحة منهم أعفى. فقتلهم السفاح»[٢١٠].

هذا هو الذي حَدَّثَ به أبو هلال، ورأينا أن فيه عفوًا كاد يصدر من السلطان عن هؤلاء الذين دالت دولتهم، وانقضى عهدهم. فأبو العباس السفاح من أصحاب العفو رغم شدته وبطشه في كثير من المواقف في حياته، لكن عدو العفو هذا الوزير، الذي حسن للخليفة العفو، وجعل فيه مرضاة الله، ثم أغراه بهؤلاء الضعفاء، فكان بذلك من ألد أعداء العفو.

قد يكون أعداء العفو أفرادًا في المجتمع، وقد يكونون مجتمعًا بكامله،أو مدينة بسكانها، أو قبيلة ببطونها وأفخاذها، كما هو الحال في قبيلتي عبس وذبيان في الجاهلية، وقد عُرِفَ أن قتالهما استمر أكثر من أربعين سنة، ولم يخطر لواحد من رجالهما العفو والصفح لحقن الدّماء، وإيقافُ النَّزْفِ بين القبيلتين الأختين، إلى أن جاء هَرِمُ بنُ سنان والحارثُ بنُ عَوْفٍ المُرِّيان، فحقنا الدماء، وعَفَوَا عَفْوًا جميلاً، وتحمّلا دياتِ الفريقين.

ولقد عُرِفَ عن أهل البصرة أنهم ثاروا على السلطان غَيْرَ مَرّةٍ، ونابذوه العداء وكانت البيئة في مجتمع هذه المدينة تتقبل أفكار الثورة، والتمرد، لذا فقد حَدَثَتْ فيها فِتَنٌ كثيرة أَدَّتْ إلى قتل الكثير من أهلها، وحرق منازلهم وزروعهم.

---

[٢١٠] أبو هلال، الحسن بن عبد الله العسكري، الأوائل، تحقيق: وليد قصاب ومحمد المصري، الرياض، دار العلوم، ط٢، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج٢، ص٨٧.

www.mtenback.com

وقد صور الشاعر أعشى همدان حالتهم في ثورة من تلك الثـــورات، فقـــال يخاطبهم[٢١١]:

وَعَفَوْنَـــا، فَنَسِـــيتُمْ عَفْوَنَـــا وَكَفَرْتُـــمْ نِعْمَـــةَ اللهِ الأَجَـــلْ

فالشاعر يخاطب مجتمع البصرة، وهم أعداء العفو برأيه، ويراهم جاحدين لأنعم الله عليهم بما سبق من العفو عنهم والمغفرة لهم.

وثمة موقف آخر يعرضه شاعر أندلسي في مديحه أمير الموحدين، وقد خـــاطب العصاة مشيراً إلى ما لحق من دمار في مدينتهم عندمـــا لم يطلبـــوا العفـــو ويذعنـــوا للصلح[٢١٢]:

وَلَمَّـــا لَـــمْ تَلُـــذْ بِـــالعَفْوِ مِنْكُـــمْ تَعاوَرَهَـــا الـــرَّدى حَتَّـــى عَفَاهـــا

إن الذي أهّل لعقاب هؤلاء العصاة هو عدم طلبهم العفو، وكان الأمـــير قـــد عرض عليهم الرجوع عن عصيانهم والعفو عنهم، لكنهم رفعوا راية العصيان، ووقعوا في غواية الشيطان، حتى جاءهم عقاب الأمير، حين دمر المدينة عليهم.

وفي زماننا هذا مواقف مشابهة لمن يميل إلى العفو ويفضل الصفح عن المســـيء، وأخرى تدعو إلى القسوة والانتقام وإنزال العقوبة بمن أحاطت به خطيئة، وذلك علـــى مستوى الأفراد والمجتمعات والحكومات ولا يخلو زمان من هؤلاء وهؤلاء، وشـــواهد هذه المسألة مستمرة ما استمرت الحياة البشرية، فاجعلنا ربنا من العافين والمعفو عنهم.

تطور مفهوم العفو:

يتبادر إلى الذهن غَيْرُ سؤالٍ:

هل كان عفو الجاهليين كعفو الإسلاميين ومن تلاهم؟..

---

[٢١١] أعشى همدان، عبد الرحمن بن عبد الله: ديوانه، تحقيق: حسن أبو ياسين، الريـــاض، دار العلـــوم، (١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م)، ص١٥٠.

[٢١٢] ابن صاحب الصلاة: تاريخ المنّ بالإمامة، ص٢٨٣.

www.mtenback.com

وهل العفو في زماننا كالعفو الذي عرفه القدماء؟..

ألم يحدث تطور في مفهوم العفو على مر الأزمان؟..

إن هذه الأسئلة لا يمكن الإجابة عنها إلا بعد استعراض مواقف العفو عند العرب على مر العصور.

لكن أمرًا ما يدعونا إلى أن نتلبث قليلاً للتأمل والتفكير في مواقف وقفها بعض أصحاب العفو، حيث أظهروا العفو في أجلى صوره، وأعلى حالاته.

هذه المواقف يبدو فيها إشراق الرحمة، ونور التسامح، لأن أصحابها تجاوزوا عصرهم، وصدروا عن حكمة لم تكن تعهد عن المستنيرين في عصور تَلَتْ عَصْرَهم بقرون، فأعطت مثلاً حسنًا لطبيعة العرب وفضلهم وحبهم للعفو ورغبتهم فيه.

وهذا بشار بن برد يخبرنا عن العفو وحسنه فيقول[٢١٣]:

وَحَلَفْتُ أَصْفَحُ عَنْ غُواةِ عَشِيرَتِي كَرَمًا، وَعِنْدي بَعْدَهُمْ تَنْكِيرُ

فقد اتسع صدر الشاعر، واحتوى شر الغواة من قومه بالعفو والصفح وهو يذكرنا بموقف رائع وقفه قيس بن عاصم، حليم العرب. فقد روي عن الأحنف بن قيس أنه قيل له: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم. قيل: فما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته خادم له بسَفُّودٍ عليه شواء، فسقط السفود من يدها على ابن له، فعقر، فمات، فدهشت الجارية، فقال: ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق، فقال لها: أنت حرة، لا بأسَ عليك، وعفا عنها[٢١٤].

لقد نسي قيس بن عاصم ولده الذي مات ولن يعيده الغضب، واستشعر الرحمة لهذه المسكينة الضعيفة التي أوقعها الخوف والرهبة فما كان منه إلا أن تحركت نفسه

---

[٢١٣] بشار بن برد، ديوانه، ج٣، ص٢٦٥.

[٢١٤] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين: ج٢، ص٢٤٠، وابن قتيبة: عيون الأخبار: ج١، ص٢٨٦.

www.mtenback.com

العربية الكريمة لتخفف عن المرأة روعها، و لم يكن عنده أحب من العتق ليتم العفو ويمنّ عليها ويزيل كل بواعث الرّوع من نفسها.

إن موقف قيس إشراق عجيب، أنبأ عن أخلاق عظيمة قد لا نجدها بين البشر إلا عند الرسل والأنبياء، أومن هم في درجة صبرهم واحتسابهم وحلمهم وعفوهم، وكذلك طبيعة العرب وأخلاقهم، وما جبلوا عليه من شيم.

كما تُصادِفُ الدارسَ المتأملَ في حياة الجاهليين مواقفُ في العفو، وقفها الشعراء، أو سادة القوم من أمثال الفِنْدِ الزِّمَّانيِّ (شَهْلِ بنِ شيبانَ)، وهو شاعر جاهلي قديم.

فقد كان صفح عن قوم تربطه بهم آصرةُ قُرْبَى، أو أخوة، و لم يكن صفحه عنهم صادراً عن عجز وضعف، بل عن قوة واقتدار.

لكن أولئك القوم نابذوه العداء بعد صفحه عنهم، عندئذ لم يجد الفِنْدُ بدًّا من إنزال العقوبة بهم، فلم يعف عنهم هذه المرة، كما عفا عنهم من قَبْلُ، وتراءى له أن في الصفح عنهم إذعانًا لهم وذلة وهوانًا. قال يصور موقفه معهم[٢١٥]:

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ ... وَقُلْنَا: القَوْمُ إِخْوَانُ

عَسَى الأَيَّامُ أَنْ يُرْجِعْ ... نَ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ ... فَأَمْسَى وَهْوَ عُرْيَانُ

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى العُدْوَا ... نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا

مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللَّيْثِ ... غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ

وَبَعْضُ الحِلْمِ عِنْدَ الجَهْ ... لِ لِلذِّلَّةِ إِذْعَانُ

---

[٢١٥] الأعلم الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، تحقيق: د. علي المفضّل حمودان، دبي، مركز جمعة الماجد، (١٩٩١م)، ص٣٦.

www.mtenback.com

لقد أعطى الشاعر فرصة العفو والتسامح لبني ذهل بن شيبان، إلا أنهم لم يُقَدِّرُوا عفوه عنهم، وتسامحه لهم، فلم يكن أمامه بد، وهو سيد من سادات العرب إلا أن يردع الأشرار، ويدفعهم عن نفسه بالقوة التي يفهمها من لا يفهم لغة العفو والتسامح.

ونتأمل موقف سيد من سادات العرب في الجاهلية، وشاعر من شعرائهم هو سُلْمِيّ بنُ ربيعة حيث يقول(٢١٦):

وصفحتُ عن ذي جَهْلِها، وَرَفَدْتُها نُصْحِي، ولم تُصبِ العشيرةَ زَلَّتِي

وإذا تجاوزنا عصر الجاهلية، نجد الإسلام بتعاليمه السمحة وأخلاقه الرفيعة قد هذّب الكثير من أحاسيس الناس، وأثّر في ذواتهم ومواقفهم.

فصاروا يكرهون الإثم المترتب على العقوبة بعد التخلي عن العفو، ويفكرون في الأجر والثواب المنتظر عند الله إن هم عَفَوْا وتجاوزُوا وصفحُوا، والله تعالى وعدهم بالمغفرة إن عَفَوْا، في قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾(٢١٧).

لقد وعدوا بالمغفرة إن هم صفحوا، لذلك نجدهم يتمثلون في عفوهم وصفحهم معاني الإسلام وتعاليم نبيه الكريم.

حتى صاروا يشعرون أنّ في العفو عن المسيء أمنًا وراحةً، فهاهو ذا الشاعر مالك بن عبد الله من شعراء صدر الإسلام يقول(٢١٨):

وَلِلْعَفْوِ أَمْنٌ يَعْرِفُ النَّاسُ فَضْلَهُ وَلَيْسَ عَلَيْنا فِي القِصَاصِ آثَامُ

---

(٢١٦) المرزوقي: شرح الحماسة، ج٢، ص٥٥٢.

(٢١٧) سورة النور: ٢٢.

(٢١٨) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص١٣٨.

www.mtenback.com

فهذا وغيره يكشف مدى تعمق الإسلام في النفوس، وما جُبل عليه العربي من خلق كريم يتجلى في حب العفو، وتمكنه من القلوب، وتمثله في طبائع الناس قولاً وعملاً، يدل عليه، ويشير إليه سلوك الإنسان العربي وعلاقاته مع الآخرين في المجتمع.

إن هذه المواقف تنطوي على فهم حقيقي لدور الشاعر في المجتمع، ولرسالته في الحياة، والذي لا شك فيه أن الإسلام كان الدافع والمحرك الأكبر لتمسك النفوس العربية بتلك القيم الخيرة التي صقلتها التجربة وغذتها المروءة والشهامة العربية.

لهذا نجد الشاعر العربي يتبنى موقف الصفح والتجاوز إذا صادف أذى من أخٍ، أو قريب، أو صديق. وكان يتركه لتحكمه الأيام، ويبقى الشاعر في منأى عن أن يبسط لصاحب الأذى يدًا تضربُ، أو لسانًا ينال بالشتم والهجاء كلَّ منالٍ. وما أحسن ما قاله أبو الأسود الدؤلي في رجل يدعى عطية بن سمرة، وكان قد أساء إلى الشاعر وظلمه[٢١٩]:

صَفَحْتُ لَهُ بَعْدَ الأَنَاةِ، فَرُعْتُهُ ... بِحُرباءَ لَمْ يَعْلَمْ لَها كَيْفَ أَرْصَدا

فَكُنْتُ إِذَا المَوْلَى بَدَا لِيَ غِشُّهُ ... تَجاوَزْتُ عَنْهُ، وَاسْتَدَمْتُ بِهِ غَدا

لِتُحْكِمَهُ الأَيَّامُ، أَوْ لِتَرُدَّهُ ... عَلَيَّ، وَلَمْ أَبْسُطْ لِسانًا ولا يَدا

ولسنا مغالين إذا قلنا: إن علاقات الشعراء بأبناء مجتمعهم كانت قائمة على خلق كريم، أهم ما يميزه العفو والتسامح الذي دعا إليه الكتاب والسنة والأخلاق العربية، فتمثلوا ذلك كله قولاً وعملاً، ونادوا به حتى في علاقاتهم الأسرية على نحو ما رأينا في شعر أبي الأسود حين خاطب زوجه[٢٢٠].

---

[٢١٩] أبو الأسود الدؤلي: ديوانه، ص٧٠.

[٢٢٠] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

لكننا إذا سألنا: ما السرُّ في ذلك؟ وما الذي دفع الشعراء إلى تمثل هذه القيم؟ جاءنا الجواب عن ذلك من شعر أبي الأسود نفسه حيث يقول[٢٢١]:

تَجَاوَزْتُ عَمَّا قَالَ لِي، وَاحْتَسَبْتُهُ وَكَانَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي هُوَ نَائِلُهْ

إنه التجاوز والعفو طلبًا للأجر عند الله.

وقد لا نجد تطورًا كبيرًا عند معظم الشعراء في مفهوم العفو والصفح يقول الشاعر نُصَيْب مخاطبًا هشام بن عبد الملك[٢٢٢]:

أَنِلْنِي، وَقَرِّبْنِي، فَإِنَّكَ بَالِغٌ رِضَايَ بِعَفْوٍ مِنْ نَدَاكَ وَزَائِدُ

وقد تطورت فكرة العفو في العصور الأخيرة من حياة الأمة الإسلامية، واكتست في المجتمع معاني جديدة اقتضتها طبيعة التغيير الذي أصاب حياة العرب بعد الإسلام. وقد تشعبت هذه المعاني وغزُرت وتعمقت.

ونقع في هذا العصر على نماذج رفيعة من الشعر، تناول أصحابها منقبة العفو تناولاً جيدًا، وبطريقة جديدة، فيها احتفاء بالمعنى، ودقة وعمق، نجد ذلك لدى شعراء كبار من أمثال أبي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وغيرهم.

يقول داود بنُ سَلْمٍ التَّيْمِيُّ يخاطب الحسن بن زيد مادحًا ومعتذرًا[٢٢٣]:

لَعَمْرِي، لَئِنْ عاقَبْتَ، أَوْ جُدْتَ مُنْعِمًا بِعَفْوٍ عَنِ الجَانِي وَإِنْ كَانَ مُعْذَرا

لأَنْتَ بِما قَدَّمْتَ أَوْلَى بِمِدْحَةٍ وَأَكْرَمَ فَرْعًا إِنْ فَخَرْتَ، وَعُنْصُرا

وكانوا يتفنّنون في اعتذارهم وطلب العفو من الأمير أو الخليفة الذي وجد في نفسه عليهم. من ذلك ما كتب إسحاق الموصلي إلى المأمون في رقعة[٢٢٤]:

---

[٢٢١] أبو الأسود: ديوانه، ص٣٩.

[٢٢٢] الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص١٤٣.

[٢٢٣] المصدر السابق، ج٥، ص١٣٠.

[٢٢٤] المصدر السابق، ج٥، ص١٠٥.

www.mtenback.com

لا شَيءَ أعظمُ منْ جُرْمي سِوى أَمَلِي ... لِحُسْنِ عَفْوِكَ عن ذَنْبي وَعَنْ زَلَلِي
فإنْ يَكُنْ ذا وذا في الصَّدْرِ قد عَظُما ... فَأَنْتَ أَعْظَمُ من جُرْمِي، ومِنْ أَمَلِي

بل إن طلب العفو كان وسيلة عاطفية لاسترضاء المحبوبة والتغزل بها. يقول الحسين بن الضحّاك متغزلاً[٢٢٥]:

يا فَدَتْكِ النَّفْسُ كانت هَفْوَةً ... فاغْفِرِيْهَا وَاصْفَحِي عَمَّا مَضَى
وَاتْرُكِيْ العَذْلَ عَلَى مَنْ قَالَهُ ... وَانْسُبِي جَوْرِي إِلَى حُكْمِ القَضَا

ويقول أبو تمام واصفًا بعض ممدوحيه بالصفح[٢٢٦]:

صَفُوحٌ إِذَا لَمْ يُثْلِمِ الصَّفْحُ حَزْمَه ... وَذو تُدْرَأٍ بالفاتكِ الخِرْقِ، فَاتِكُ

وأبو تمام في هذا البيت يرى أنّ الشر ربما يتولد من الخير، لذا فإنه يجعل ثلم الحزم يأتي من الصفح والعفو، وممدوحه كثير الصفح (صَفُوحٌ)، والصفح شيء رائع عظيم، لكنه إذا وضع في غير مكانه، وعند غير أهله استغل، وعاد شرًّا على صاحبه.

وإذا تركنا أبا تمام لننظر في شعر المتنبي فإننا نقع في ديوانه على مبالغات كان يتناول من خلالها معاني العفو والصفح والمغفرة. يقول مادحًا الأمير مساور بن محمد[٢٢٧]:

حَنِقٍ على بِدَرِ اللِّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ ... بِإِسَاءَةٍ، وَعَنِ المُسِيءِ صَفُوحُ

يريد أن يقول: إنه كريم سخي كثير العطاء، ولو فرق كرمه بين الناس لصاروا أسخياء، وفي طبعه صَفْحٌ وعَفْوٌ مع كَرَمٍ. فهو يخشى على المال فيوزعه، ولكنه يعفو عن المسيء.

---

[٢٢٥] الأصفهاني: الأغاني، ج٦، ص١٧٣، التُدرأ: مأخوذ من درأته أي دفعته.

[٢٢٦] أبو تمام: ديوانه، ج٢، ص١٠٩.

[٢٢٧] المتنبي: ديوانه بشرح الواحدي، برلين، ١٨٦١م، ص١١.

www.mtenback.com

لقد قابل أبو الطيب بين غضب الممدوح على المال وبين صفحه وعفوه عمّن أساء، وفي هذا صنعة جميلة.

وقال أبو الطيب أيضًا[٢٢٨]:

وَذَنْبِيَ تَقْصِيرِي، وَمَا جِئْتُ مَادِحًا بِذَنْبِيْ، ولكنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أنْ تعفو

أبو الطيب يمدح في هذا البيت القاضي أحمد بن الحسين المالكي، وفي معنى البيت دقة وعمق وبعد. فهو يقول تقصيري في مدحك ذنب، والذنب لا يمدح به، ولكنْ، يطلب العفو عنه، وهذا ما أسألك إياه.

ومثله قوله المتنبي[٢٢٩]:

وَمَا قَتَلَ الأَحْرَارَ كَالعَفْوِ عَنْهُمُ وَمَنْ لَك بِالحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ اليَدَا

صدق أبو الطيب، فمن عفا عن حر فكأنه قتله، لأنه يسترقه بهذا العفو، ولكن! من يتكفل لك بالرجل الذي يحفظ النعمة واليد البيضاء، ويراعي حقها؟

إنّ استعمال المتنبي للعفو جاء مكسوًّا بثوب الحكمة، خاصة في البيت الأخير. ولا غرابة في ذلك فهو القائل: أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر هو البحتري.

لكنّ المدقق في شعر العصر العباسي يجد شعراء ذلك العصر لا يسيرون على وتيرة واحدة عالية على النحو الذي جاء عليه شعر المتنبي وأبي تمام، بل يجد بعض الشعراء ممن جاؤوا بمعاني العفو جاؤوا بها في شعرهم على نحو عادي جدًّا، يذكرنا ذلك بما قاله الأمويون والجاهليون عن العفو. من ذلك ما جاء في شعر الحسن بن وهب. قال: مخاطبًا الوزير ابن الزيات[٢٣٠]:

---

[٢٢٨] المتنبي: ديوانه بشرح الواحدي، ص١٧٢.

[٢٢٩] المتنبي، ديوانه، ص٥٣٢.

[٢٣٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٤٢.

www.mtenback.com

أَبَا جَعْفَرٍ! مَا أَحْسَنَ العَفْوَ كُلَّهُ وَلا سِيَّما عَنْ قَائِلٍ: لَيْسَ لِي عُذْرُ

وإذا تقدّمنا في العصر العباسي فبلغنا العصر العباسي الثاني، وقرأنا شعر المشارقة والأندلسيين فإننا نجد نماذج شعرية استخدم فيها الشعراء العفو والصفح، وصاغوه على أسلوب العَصر والعصور التي تلته وهو أسلوب البديع، والاهتمام بالزخارف اللفظية.

وقد نجد شعراء قللوا من استعمال البديع وهم يتناولون معاني العفو والصفح في أشعارهم.

يقول الشاعر الأندلسي الشواس الشلبي يمدح الأمير أبا يعقوب[٢٣١]:

دَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا، وَكَافَةُ أَهْلِهَا فَعَفَا وَعَفَّ، وَسَامَحَتْ عَطَفَاتُهُ

أَبْدَى لَنَا بَشَبَابِهِ، وَمَنَا بِهِ عَجَبًا، وَظَاهَرَ حُسْنَهُ حَسَنَاتُهُ

وقال أبو عمر بن حربون مادحًا يوسف بن تاشفين بعد أن قضى على بعض الفتن و لم يقحم من البديع شيئًا[٢٣٢]:

بَطَشَتْ بِهِمْ كَفُّ الرَّدى لَمَّا أَبَوْا أَنْ يَقْبَلوا عَفْوَ الصَّفُوحِ المُفْضِلِ

وهناك من شعراء العصر العباسي الثاني من كان يتناول العفو والصفح في شعره بطريقة عفوية، دون أن يثقلها بالتكلف البديعي.

من هؤلاء الشعراء الشريف الرضي، يقول مخاطبًا بعض أصحابه[٢٣٣]:

أُسَالِمُ حِينَ أُبْصِرُكَ اللَّيَالِي وَأَصْفَحُ لِلزَّمَانِ عَنِ الذُّنُوبِ

ويقول[٢٣٤]:

---

[٢٣١] ابن صاحب الصلاة: تاريخ المنّ بالإمامة، ص٢٦٠.

[٢٣٢] المصدر السابق، ص٣٢٧.

[٢٣٣] الشريف الرضي: ديوانه، ج١، ص١٩٣.

[٢٣٤] المصدر السابق، ج١، ص٢٦٢.

www.mtenback.com

إِذَا ما جَنَوْا ذَنْبًا عَلَيَّ احْتَقَرْتُهُ فَأَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ العَظِيْمِ وَأَصْفَحُ

ولبشار بن برد دعوة أخلاقية تقوم على الإخاء وحفظ المودة بين الأصحاب، ووضع العفو والمغفرة موضع العقوبة حفاظًا على المودة واستبقاء للتآخي والمحبة، هاهو ذا يتناول هذه المعاني دون تكلف، أو تعقيد فيقول[٢٣٥]:

أَخُوك الَّذي لا يَنْقُضُ الدَّهْرَ عَهْدَهُ وَلا عِنْدَ صَرْفِ الدَّهرِ يَزْوَرُّ جانِبُهْ

فَخُذْ مِنْ أَخِيكَ العَفْوَ وَاغْفِرْ ذُنُوبَهُ وَلا تَكُ فِي كُلِّ الأُمُوْرِ تُجانِبُهْ

تلك هي قيم العفو والصفح، وهي جميلة محبوبة رائعة.

لقد تناول الشاعر العفو والصفح من خلالها دون أن يكدّر أسلوبه بالتنميق البديعي. وقد وجد في عصر الشريف الرضي شعراء ساروا في أشعارهم سيرته، فتناولوا العفو والصفح دون أن يسلكوا في البديع طريقًا يُسيء لأشعارهم ومعانيهم.

يقول الشاعرُ الحَيْصَ بَيْصَ (سَعْدُ بنُ محمد التميمي) مادحًا[٢٣٦]:

يَعَافُ إِباءً فِيهِ أَدْنَى خَسِيفَةٍ وَيَغْتَفِرُ الجُرْمَ الجَلِيلَ، وَيَصْفَحُ

وقد يصادفنا شعراء اهتموا بالفكرة، وتناولوا العفو من خلال صنعة بديعية لطيفة لم تسيء إلى شعرهم. قال المهذب بن شاهين يعتذر للخليفة العزيز بالله، العباسي، وكان رأى في عمل أسنده للشاعر خيانةً، فكتب معتذراً[٢٣٧]:

قُلْ لِلعَزِيزِ، أَدَامَ رَبِّيَ عِزَّهُ وَأَنالَهُ مِنْ خَيْرِهِ مَكْنُونَهُ

وَلَقَدْ جَمَعْتُ مِنَ الجُنُونِ فُنُونَهُ فَاجْمَعْ من الصَّفْحِ الجَمِيْلِ فُنُونَهُ

---

[٢٣٥] بشار بن برد، ديوانه ج٤، ص١٧.

[٢٣٦] العماد الأصبهاني: خريدة القصر، ج١، ص٢٢٤.

[٢٣٧] العماد الأصبهاني: خريدة القصر، ج٢، ص٢٤٩.

www.mtenback.com

مَنْ كَانَ يَرْجُو عَفْوَ من هُـــوَ فَوْقَــه فَلْيَعْفُ عَنْ جُرْمِ الَّذِي هُـــوَ دُونَــهُ

وتناول الشعراء ألفاظ الصفح والعفو من خلال الأدعية والابتهـــالات، يقـــول محمد كبريت (وهو من شعراء القرن الحادي عشر الهجري)[٢٣٨]:

إِلَهِـــي طَـــالَ بُعْـــدِي وَاغَـــتِرابي وَفِي جُنْحِ الدُّجَـــى طَـــالَ الْتِهـــابِي

إِلَهِي، أَنْتَ أَوْلَـــى مَـــنْ عَفَـــا عَـــنْ ذُنُـــوبٍ مِثْـــلِ أَعْـــدادِ الـــتُّرابِ

وفي العصر الحديث نجد بعض شعراء العرب يتناولون ألفاظ العفـــو والصفـــح والغفران تناولاً فيه عذوبةٌ ورقّةٌ وجمال، وفيه تصوير فني راقٍ.

ويبقى ما قاله شعراء صدر الإسلام وبعض شعراء العصر العباســـي في العفـــو الذّروةَ بين شعراء سائر العصور لجودة معانيهم، ودقة ألفاظهم، وجمال صورهم الفنية.

ولقد أحسنت هذه الفئة من الشعراء توظيف ألفاظ العفو ومرادفاته أيما إحسان، وأتوا بالجديد من الصور والأفكار المعاني.

لذلك كله نجدهم تفوّقوا على غيرهم من الشعراء وبَذُّوهم.

آثار العفو ونتائجه:

لّما كانت العلاقات الإنسانية قائمة على أساس الحب، ولّما كان هذا الحب بـــين بني البشر منظمًا للحياة المثالية، فإن أجمل ما في هذا الحب أن يتحلى بالعفو والغفران.

وإنّ أول ما يبعث على هذا الحب،ويؤدي إليه، ويرضي الناس إنمـــا يتمثـــل في مكارم الأخلاق والتمسك بها، والدعوة إليها.

والعفو واحد من تلك المكارم، بل هو من أبرزها وأظهرها، لأنّ فيـــه نشـــراً للمحبة بين الناس، وإزالة للحقد والضغينة من النفوس.

[٢٣٨] عايض الردادي: الشعر الحجازي: ج١، ص١٩٣-١٩٤.

www.mtenback.com

فأي حب يغرسه المرء في قلب من يعفو عنه، حين يعفو، وهو يملك الانتقام!!

قال تعالى: مخاطبًا نبيه الكريم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٢٣٩] وفسرّ النبي الآية بقوله: «هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

ويقول ﷺ في حديث آخر: «إن العفو لا يزيد العبد إلا عزًّا، فاعفوا يعزكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، وإن الصدقة لا تزيد المال إلاّ نماءً، فتصدّقوا يرزقكم الله».

إن النفس البشرية طبعت على رد الضيم عنها، وهي تود حين يعتدى عليها أن ترد هذا العدوان، كما تريد أن تعاقب بمثل ما عوقبت به وهذا حق أوجبته طبيعة التعامل بين الناس.

لكن للعفو مكانةً أعلى وأجلّ وأسمى. والإنسان يجب ألاّ يتجاوز الحق، ولا يعدوه في رد الاعتداء حين يقع عليه. بل عليه أن يعفو ويصفح، فيرد العدوان بما هو خير، بالصبر على الأذى، وتحمل المكاره وإظهار التجلد والتماسك ثم التسامح. هذا هو المنهج السليم في الحياة، وهذا هو العفو والصفح. فماذا عن آثاره؟

إننا إذا حاولنا استقراء مواقف العفو التي سقناها فإننا نرى لها آثارًا عظيمة في النفس البشرية لدى كل من العافي والمعفو عنه. نجد لها طيب الأثر بظهور مشاعر الراحة والطمأنينة النفسية لديهما، ففي العفو إحساس بالراحة، وشعورٌ بالأمن يلمسه الإنسان في حياته،و هذا الإحساس قل أن يعرفه الكثير من الناس.

إن المعفو عنه يدرك أن صفح العافي برد على الأكباد، وفيه قبول حسن للتوبة والندم على ما صدر منه، ولو وضع المعفو عنه مكان العافي فلربما جار في الحكم وظلم، لكن خلق العافي أوسع، وصبره أوثق، وحلمه أقرب من غضبه.

---

[٢٣٩] سورة الأعراف: ١٩٩.

www.mtenback.com

ويظهر أثر العفو ونتائجه بوضوح من النواحي الاجتماعية والخلقية والسياسية.

قال الشيخ محمد الغزالي[٢٤٠]: ومما يتصل بحادثه الإفك أن قريبًا لأبي بكر الصديق كان يعيش على إحسانه، لم يتورع عن الخبط في عرض السيدة التي يكفله أبوها، فنسي بذلك حق الإسلام وحق القرابة وحق الصنيع القديم، مما أحفظ أبا بكر، وجعله يحلف أن يترك قريبه هذا، ولا يصله كما كان يصله من قبل. فَنَزَل قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٤١] فعاد أبو بكر بعطائه الأول قائلاً: إني أحب أن يغفر الله لي.

هذا الخبر يدل دلالة واضحة على أثر العفو ونتائجه في النفس التي تمارس العفو وتحسن المعاملة حتى مع عدم الشكر.

لقد كان سرور قريب أبي بكر عظيمًا، وهو المَعْفُوُّ عنه، فقد فرح لعودة العطاء، وندم أشد الندم على ما بدر منه، واستغفر الله كثيرًا على تورطه في حادثة الإفك.

إنّ العفو يدفع الناس جميعًا إلى التآلف والمحبة، ويجمع بين القلوب، ويزيل منها أوضارها وأحقادها، ويسعى بها إلى السمو والارتقاء.

بل إن العفو والإحسان يستلان العداوة من قلب المعفو عنه، ويجعلانه عبدًا للمحسن العافي. و قد عبر عن هذا المعنى كثير من أقوال الشعراء، كقول أحدهم:

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمْ إِذْ طالَما اسْتَعْبَدَ الإِنْسانَ إِحْسانُ

ما أعظم دعوة الداعين إلى العفو، ونداء المنادين بالصفح بين قلوب لجّ فيها العداء، وحرّكها الشيطان بالشر، فأصرت القوية منها على الانتقام، وتمسكت الضعيفة

---

[٢٤٠] محمد الغزالي: خلق المسلم، ص١١٧.

[٢٤١] سورة النور: ٢٢.

www.mtenback.com

بالعناد، ونابذتها العداء والشر. لكن الخير كل الخير في دعوة سامية إلى الصلح، ونداء رفيع بالعفو، يكون من القادر القوي، ليشمل من سيصيبهم الانتقام، وينالهم العقاب.

نمثل لهذا كله هاهنا بموقف الشاعر عبد الله بن الزِّبَعْرى وهو يطلب المغفرة من رسول الله ﷺ على ما بَدَرَ منه قبلَ إسلامه، يقول[٢٤٢]:

فَاغْفِرْ، فِدًى لَكَ وَالِدايَ كِلاَهُمَا ذَنْبِي، فَإِنَّكَ راحِمٌ مَرْحُومُ

إن قرارات العفو التي يصدرها الخلفاء والقادة والولاة يوم توليهم مهامهم ومناصبهم وتتصل ببعض المتجاوزين والمناوئين إنما تفتح صفحة جديدة في حياة هؤلاء المتجاوزين، وتدخل الطمأنينة على قلوبهم، كما أن العافين يسعدون بعفوهم هذا، لأنهم بدؤوا حكمهم بالعفو والصفح عن المسيء، ونشروا المحبة بين الناس، وشدوا من أزر مجتمعهم، وتألفوا الرعية بإلعفو والصفح والغفران. وهذا كله ينعكس على المجتمع فيزيده تقدمًا ورفعةً، ويعم فيه النشاط والانبساط، وتزهو حياة الناس وتزدهر التجارة والصناعة وجميع فعاليات الوطن.

حَدَّثَ ابنُ صاحبِ الصلاة، قال: «لما كملت على ما ذكْرتُهُ من الإجماع عليها [يريد خلافة أبي يعقوب سلطان الموحدين في المغرب والأندلس]، وسَرَتِ البشائرُ بها في البلاد، وتيمن بارتباطها بالعدوة والأندلس جميع العباد، عفا عن المسجونين، وحط البقايا عن العمال الخائفين، وأمنهم من المخاوف فيما تقيد عليهم في الدواوين، فزاد الانبساط والنشاط عند الناس بفضله وصفحه وعدله، وزادت المخازن إثر ذلك وفورًا، ونمت الأرزاق، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة»[٢٤٣].

إنّ هذا الخبر الذي رواه ابن صاحب الصلاة يشير إلى دور العفو السياسي وأثره في المجتمع، وانعكاسه على حياة الناس اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا، إنه يضع أيدينا

---

[٢٤٢] صفدي وحاوي: موسوعة الشعر العربي، ج٥، ص٣١٥.

[٢٤٣] ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص٣٤٧.

www.mtenback.com

على نتائج العفو وآثاره في سعادة المجتمع، ونشاط مرافق الحياة فيه، وذلك بعد أن ارتاحت النفوس القلقة، وأمنت القلوب الخائفة من البطش والعقاب.

ونجد للعفو دوراً كبيراً في مجال تآلف الأسرة، وفي العلاقات بين الأهل والأرحام. فبالعفو يكون استبقاء المودة، ودوام المحبة، واستمرار العلاقات الطيبة بين الأهلين.

إننا نجد الإحساس بالراحة النفسية والطمأنينة في عفو المرء عن المرء لدى العافي، لأنه أراح نفسه من غم العداوة حين عفا، ولدى المعفو عنه حين اطمأن قلبه بالعفو. هاهو ذا الشاعر يصور لنا راحة العافي وسعادته حين يعفو، يقول[٢٤٤]:

لِمَّا عَفَوْتُ، وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ غَمِّ العَداوات

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

ولقد أدرك أحد شعراء صدر الإسلام، وهو مالك بن عبد الله أن للعفو أمناً وشعوراً بالطمأنينة، وأن الناس يعرفون فضل العفو مع وجود مشروعية القصاص والعقاب.

إذا أردنا أن نعدد آثار العفو ونتائجه فإننا نخرج من ذلك بنقاط هي:

أن الله يعز صاحب العفو، ويرفع درجاته، ويعلي مكانته. وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً...».

أنّ حب الله وثناءه يتحققان لصاحب العفو ويقترن ذلك بالإعلام بمحبة من اتصف به لأجل الإحسان. والله تعالى هو القائل: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

---

[٢٤٤] الشافعي، الإمام محمد بن إدريس: ديوانه، جمعه: محمد عفيف الزعبي، دار الجيل، بيروت، ط١، (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص٢٨..

www.mtenback.com

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٤٥]. فقد أوجب الله تعالى محبته للعافين عن الناس، وأثنى عليهم بالإحسان.

وكذلك استعطاف الخلق في طلب التخلق بالعفو إلى مثل ما يحبون من خالقهم معهم.

والانتقام من كاسب الذنب جائز مع وجود فضيلة العفو، والعفو أفضل.

والعافي يقع أجره على الله.

والمغفرة من الله تعالى تتم لصاحب العفو حين يعفو.

العفو يقرب العبد من تقوى الله وخشيته، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٢٤٦].

وعفو الإنسان عن الإنسان وتجاوزه عن سيئاته يؤديان إلى عفو الله تعالى. قال عز من قائل: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[٢٤٧].

قرن الله توبته عن عباده بعفوه عما يقترفون من السيئات، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾[٢٤٨].

وقرن عفوه ومغفرته للعبد بإكرامه إياه. قال عز وجل: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[٢٤٩].

---

[٢٤٥] سورة آل عمران: ١٣٤.

[٢٤٦] سورة البقرة: ٢٣٧.

[٢٤٧] سورة النساء: ١٤٩.

[٢٤٨] سورة الشورى: ٢٥.

[٢٤٩] سورة يس: ٢٦-٢٧.

www.mtenback.com

وكذلك من يعفو ويغفر يعد من أولي العزم والصبر، قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٢٥٠].

وإنّ في غياب مغفرة الله للعبد خسرانًا مبنيًا، فقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢٥١].

واتباع النبي ﷺ يوجب محبة الله ومغفرته لذنوب عباده. لأنه يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٢٥٢].

كما أن المتخلق بالعفو مُقْتَدٍ بالنبي ﷺ، ومواقف عفو النبي كثيرة، وقد رأيناها من قبل.

والعفو يستخلص قلوب ذوي الجناية، ويدخل الأنس إلى نفوسهم من وحشة العصيان والخوف والقلق.

وبالعفو والصفح رفع الهمم عن تعاظم الذنوب، والوقوع في القنوط.

ومن آثار العفو اجتماعيًا إظهار خبث الخبيث إذا لم يعف، وإظهار رفعة العافي إذا بادر إلى العفو وهرع إلى الغفران، وصاحب العفو صاحب مروءة، وهو يزداد مروءةً وشرفًا كلّما ازداد عفوًا وصفحًا.

ومن آثار العفو اجتماعيًا تأليف القلوب، ودوام المحبة، وإشاعة الثقة بين الناس، وتلك أمور تعمل على رقي المجتمع وتقدمه.

---

[٢٥٠] سورة الشورى: ٤٣.

[٢٥١] سورة الأعراف: ٢٣.

[٢٥٢] سورة آل عمران: ٣١.

www.mtenback.com

كما أن من آثاره سياسيًا جمع الكلمة، وتوحيد الصف، وثقة النـــاس بعضهـــم ببعض، وهذه أمور تجعل الناس متماسكين مطمئنين آمنين يحب بعضهم بعضًا.

ما السبيل إلى تأصيل العفو في نفوس الأجيال؟

إنّ الذي ينظر في مجتمعنا العربي المعاصر يدرك أن أبناءنا في هذا المجتمع علـــى مفترق الطرق، فهم بين حائر متردد، أو مهتدٍ إلى سبل الحق، نرجو لهم المزيد من العون والهداية.

إنّ الذي يساعدنا على ترسيخ هذا الخلق الكريم في نفوس ناشئتنا، ويدفعهم إلى التمسك به، إنّما يتجلّى في وضع القدوة والمثال أمام أعينهم.

ونحن نحتاج إلى اتخاذ القدوة والمثال، وقدوتنا نبي الرحمة ﷺ. ولقـــد ذكرنـــا القرآن الكريم بهذه القدوة العظيمة في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ...﴾[٢٥٣].

فالنبي الكريم كان رجل دين ودولة، وسيدًا للأمة وقائدًا في السلم والحـــرب، وزمن القحط والحصار،كان خير عابد وزاهد، وخير ناسك، وكان صادقًا مصدوقًـــا، كما كان شجاعًا قل نظيره، ومعلمًا وهاديًا إلى الخير، وصاحب عفو وصفح وتجـــاوز فقد عفا عن هند وهي التي مضغت كبد عمه حمزة يوم أحد، وعفا عن أبـــي ســـفيان وكان من أشد الناس معارضة له قبل الهجرة وبعدها، وعفا عن ابن عمته عبد الله بـــن أمية. وكان من أشد الناس عداءً له وهجوًا.

فنبينا حري وجدير بأن يكون لنا ولأجيالنا قدوة ومثالاً.

---

[٢٥٣] سورة الأحزاب: ٢١.

www.mtenback.com

وثمة أمر آخر يساعدنا على ترسيخ هذا الخلق الكريم في نفوس أبنائنا، ويتمثـــل في ضرورة تقديم نماذج حية من سير الفاتحين العظام والخلفاء العادلين وأصحاب العفو، نقدم ذلك لأبنائنا مكتوبًا بعذوبة لفظ، وبساطة فكر، وسهولة سبك.

هذه أخلاق العرب، وتلك نحائزهم وأبناء اليوم هم ورثة الرجال العظماء.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ... الآية﴾	١٠٩	١٧، ٢١
	﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ.... الآية﴾	٢٢٥	١٥
	﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى... الآية﴾	٢٣٧	٨٠
	﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا... الآية﴾	٢٨٥	١٩
	﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا.... الآية﴾	٢٨٦	٥٧
آل عمران	﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ... الآية﴾	٣١	٢٣، ٢٤، ٨١
	﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ... الآية﴾	١٣٤	٢٢، ٨٠
	﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ... الآية﴾	١٣٥	١٨
	﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ... الآية﴾	١٥٥	١٩
	﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ... الآية﴾	١٥٩	٥
النساء	﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ... الآية﴾	٩٢	٥٧
	﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ... الآية﴾	٩٩	٢١
	﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا... الآية﴾	١٤٩	٢٢، ٨٠
المائدة	﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.. الآية﴾	١٣	٢٠
	﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ... الآية﴾	٩٥	١٩
	﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ.... الآية﴾	١٠١-١٠٢	١٥
الأعراف	﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا... الآية﴾	٢٣	٢٣، ٨١
	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ... الآية﴾	١٩٩	٧٦
الأنفال	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ... الآية﴾	٢٩	٢٣
التوبة	﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ... الآية﴾	٤٣	٧، ١٤، ٢٠، ٥٧
الحجر	﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ... الآية﴾	٨٥	٢٢

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
النحل	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ... الآية﴾	٩٠	١١
	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ... الآية﴾	١٢٦	٥٦
النور	﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ... الآية﴾	٢٢	٢٠،٦٨،٧٧
الأحزاب	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ... الآية﴾	٢١	٢٤، ٢٨
	﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ... الآية﴾	٧١	٢٣
يس	﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعلمون بِمَا غَفَر... الآية﴾	٢٦-٢٧	٢٢، ٨٠
الشورى	﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ... الآية﴾	٢٥	٢٢، ٨٠
	﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ... الآية﴾	٣٠	٢١
	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَن... الآية﴾	٤٠	٢٠، ٢١
	﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ... الآية﴾	٤٣	٢٠، ٢٣، ٨١
الزخرف	﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا... الآية﴾	٥	١٦
	﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ... الآية﴾	٨٩	٢٢
الأحقاف	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ... الآية﴾	١٦	١٧، ٢٢
الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى... الآية﴾	١٣	٢٨
المجادلة	﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ... الآية﴾	٢	٧
التغابن	﴿فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا... الآية﴾	١٤	٢٠، ٢١
القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ... الآية﴾	٤	٢٧

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أدبني ربي فأحسن تأديبي»	١١
«ارحموا ترحموا واعفوا يغفر لكم»	٢٦، ٣٠
«أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»	٢٦
«الاعتراف يهدم الاقتراف»	٥١
«ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان...»	٢٥
«أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»	٢٦
«إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً...»	١١
«إن أحسن الحديث أصدقه...»	٢٩
«إن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً...»	٧٦
«إن كان الأمر كما تقول فإنما تسفهم المل»	٥١
« إن الله تجاوز عن أمتي ماحدثت به أنفسها»	١٧
«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»	١١
«اهتبلوا عثرات الكرام»	٢٦
«أوصاني ربي بتسع: الإخلاص في السر...»	١٤
التائب من الذنب كمن لا ذنب له...»	٢٦
«سلوا الله العفو والعافية والمعافاة»	٢٥، ٣٠
«عفا الله عنك...»	٢٩
«كان رجل يداين الناس فإذا رأى معسراً...»	١٧
«اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا»	٣٠
«مازاد الله عبداً بعفو إلا عزاً.»	٢٩
«ما من إمام يعفو عند الغضب إلا...»	٢٧

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«ما من رجل يمشي إلى أخيه فيعتذر...»	٢٦
«من لم يقبل من متنصل عذراً...»	٢٦
«هو أن تصل من قطعك...»	٧٦
«يامعشر قريش! ماتظنون أني فاعل بكم...»	٢٧

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ء ـ		
ساعتب	الغلواءُ	بشار بن برد	٢	٤٥
		ـ ب ـ		
إذا ما امرؤٌ	الذنبُ	–	١	٦٣
خذني العفو	أغضبُ	أبو الأسود الدؤلي	١	٣٩
فخذ من أخيك	تحاسبُه	امرؤ القيس	١	٣٣
أخوك الذي	جانبُه	بشار بن برد	٢	٧٤
حليماً إذا	يثربِ	الشاعر الفصيح	١	١٥
كتب المنفي	واعجبِ	حافظ إبراهيم	٢	٤٠
سار العلوجُ	منتدبِ	عبد الملك بن عباس	١	٣٦
أسبل عليهم	بذنابِ	أبو تمام	٢	٤٠
حتى اكتسيت	بخضابِ	–	١	١٨
إلهي أنت	الترابِ	محمد كبريت	١	٣٥
إلهي طال	التهابي	محمد كبريت	١	٧٥
أسالم حين	الذنوبِ	الشريف الرضي	١	٧٣
		ـ ت ـ		
دانت له	عطفاتُه	الشواس الشلبي	٢	٧٥
لما عفوت	العداواتِ	–	٢	٧٩
وسعت مراحمك	عثراته	–	٢	٤١
وصفحت عن	زلتي	سُلَمِيُّ بن ربيعة		٦٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		— ح —		
سوى أن	صفحُ	ابن عبد ربه	١	٣٦
أسلاّم إنك	فيسجحُ	الأحوص	٢	١٦
يعاف إباء	ويصفحُ	الحيص بيص	١	٣٤
ملكنا فكان	أبطحُ	–	١	٣٧
حنقٍ على بدر	صفوحُ	المتنبي	١	٧١
أبها الشاعر	وتصحو	إبراهيم ناجي	٤	٤٣
		— د —		
صفحت له	أرصدَا	أبو الأسود الدؤلي	٣	٦٩
وإن الذي	جدَا	المقنع الكندي	٥	٤٩
وما قتل الأحرار	اليدَا	المتنبي	١	٥٤
أنلني وقربني	وزائدُ	نصيب	١	٧٠
عفو عن الزلات	أجودُ	حسان بن ثابت	١	٧
فاصفح فسوف	حديدُ	الشريف الرضي	٣	٣٨
غفرت ذنوبكم	أستفيدُ	معاوية بن أبي سفيان	١	٤٥
نعطي العشيرة	ونسودُ	معاوية بن مالك	٢	٤٨
قد تبت	معتمدِ	بشار بن برد	١	٤٢
إذا كنت	مرشدِ	عبيد بن الأبرص	٤	٤٨
أبلغ يزيد	أصفادِ	كعب بن معدان	٣	٣٣
كل ميت	مولودِ	أبو زيد الطائي	٢	١٨
		— ر —		
وأنا المذكور	ذكرْ	المرار بن منقذ	٢	١٢

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
لعمري لئن	معذرًا	داود بن سلم التيمي	٢	٧٠
اقبل معاذير	فجرًا	داود بن سلم التيمي	٢	٥٥
وما علمت من	أكبرا	النابغة الجعدي	٢	٣١
فلا أنت أعتبت	المعْذرَه	إسحاق بن إبراهيم الطاهري	٢	٩
أبا جعفر !	عذرُ	الحسن بن وهب	١	٣٩
يلقون روادهم	ينتظرُ	بشار بن برد	٢	٣٤
أمضى من السيف	يقتدرُ	طائي	١	٣٣
وإنك كنت	اقتدارُ	المهلهل بن ربيعة	١	٣٦
وحلفت أصفح	تنكيرُ	بشار بن برد	١	٦٦
ما أنصف الحب	مقتدرِ	ابن عبد ربه	١	٣٦
كن حاقداً	واغفرِ	الوزير المغربي	٢	٤٠
ما أحسن العفو	ناصرِ	الحسن بن وهب	١	٣٩
اعف عني	اقتدارِ	–	١	٥٣
علقمة يا خير	الزائرِ	الأعشى	٢	١٨
إن كان لي ذنب	غافرِ	الحسن بن وهب	١	٣٤
— ع —				
كتب الرحمن	الضلعْ	سويدبن أبي كاهل اليشكري	٣	١٢
فإن اعف يوماً	تقرعُ	أبو الأسود الدؤلي	٢	٤٠
أتاني- أبيت اللعن-	المسامعُ	النابغة الذبياني	٢	٣١
— ض —				
يا فدتك النفس	مضَى	الحسين بن الضحاك	٢	٧١
أما يحسن	يرضَى	الحسن الأبهري	١	٥٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ف ـ		
علموه كيف يجفو	كفَا	أحمد شوقي	٢	٤٢
يارباحاً ليس	انطفَا	إبراهيم ناجي	٤	٤٣
وذنبي تقصيري	تعفُو	المتنبي	١	٧٢
		ـ ق ـ		
لعمرك	تضيقُ	عمرو بن الأهتم	٣	١٢
وفي الحلم	فاصدقِ	كعب بن مالك الأنصاري	١	٣٢
		ـ ك ـ		
صفوح	فاتكُ	أبو تمام	١	٧١
		ـ ل ـ		
وعفونا	الأجلْ	أعشى همدان	١	٦٥
لك الخير	أجملا	حسان بن ثابت	٥	١١
وأجزمه بالحسنى	مثلا	أبو الأسود الدؤلي	١	٥٠
إن كان ذنبي	المأمولا	مسلم بن الوليد «صريع الغواني»	١	٣٣
أديم مطال	فأذهلُ	الشنفرَى	٣	١٧
وليس بمعطي	المقاتلُ	ابن هرمة	١	٨
تجاوزت عما	نائلُه	أبو الأسود الدؤلي	٤	٧٠
إذا كنت لا أعفو	التفاضلُ ؟	–	٣،٢	٤٦
لا شيء أعظم	زللي	إسحاق الموصلي	٢	٧١
جل عندي	ينجلي	جليلة بنت مرة الشيباني	٦	٤٧
بطشت بهم	المفضلِ	أبو عمر بن حربون	١	٧٣
مازال يفضي	الزللِ	الأشبيلي الأندلسي	١	٥٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ م ـــ		
أحسنوا العفوَ	الجرائمْ	العماد الأصفهاني	١	٣٤
إما تركت	ملامَهْ	عبيد بن الأبرص	٢	٨
ولو غير أخوالي	مَيْسَمَا	المتلمس	٣	٤٧
أفاطم! إن الحب	المجاشما	المرقش الأصغر	٢	٤٢
يارب إن عظمت	أعظمُ	أبو نواس	٤	٥٨
والعفو أمنٌ	آثامُ	مالك بن عبد الله	١	٦٨
فاغفر فدىً لك	مرحومُ	عبد الله الزبعرى	١	٧٨
وإذا الإباء	احلُمِ	مهيار الديلمي	٣	٤١
إني ليمنعني	وصمِ	–	١	٤٩
إني شكرت	علْمي	محمود الوراق	٣	٦١
فالطف بذي	ندمِ	تاج الدين المالكي	٢	٥٨
والظلم من شيم	يظلمِ	المتنبي	١	٦٣
قومي هم قتلوا	سهمي	الحارث بن وعلة الشيباني	٢	٤٦
		ـــ ن ـــ		
فلا عفا الله	حطانا	بكر بن حساد	١	١٤
فأسجح	واعتدينا	سراقة بن مرداس	١	٣٧
قل للعزيز	مكنونَهُ	المهذب بن شاهين	٣	٧٤
وفي عينيكِ	غفرانُ	إبراهيم ناجي	١	٤٣
أحسن إلى الناس	إحسانُ	–	١	٧٧
صفحنا عن بني	إخوانُ	الفند الزماني	٦	٦٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ هـ ـــ		
ولما لم تلذْ	عفاها	–	١	٦٥
		ـــ ي ـــ		
أتيتك مستجيراً	يا إلهي	–	١	٩
ورجعنا بالصفح	تليًا	الحارث بن ظالم المري	١	٣٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«أحب الأشياء عند الله أربعة: القصد عند الجدة...»	٥٣
«أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة»	٣٧
«اترك وراك ذكراً طيباً يبقى أبد الدهر»	١٠
«أطعم الخبز لمن لا حقل له»	١٠
«الاعتراف يهدم الاقتراف»	٥١
«إن المقدرة تذهب الحفيظة»	٥١
«أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة»	٥٤
«بعض العفو ضعف وبعض الحلم ذل»	٥٢
«التائب من الذنب كم لا ذنب له»	٦١
«التثبت نصف العفو»	٥٠
«تعجيل العقاب سفه»	٥٢
«خير العفو ماكان عن القدرة»	٩، ٥١
«خير مناقب الملوك العفو»	٥٣
«شفيع المذنب إقراره وتوبته اعتذاره...»	٥١
«العفو يفسد من الخسيس بمقدار ما يصلح من الرفيع»	٥٣
«العقوبة ألأم حالات القدرة»	٥٢
«لئن أندم على العفو أحب...»	٥٥
«لا تطمع في ذراع من الأرض ولا تمتد...»	١٠
«لا سؤدد مع انتقام...»	٣٧
«لا شيء أقوى للملوك من العفو...»	٥٤
«لا يزداد الذنب عظماً...»	٦٠

www.mtenback.com

المثـــل	الصفحة
«لا يصلح رفيقاً من لم يبتلع ريقـــاً...»	٥١
«ليس الإفراط في شيء...»	٥٣
«ما قرن شيء إلى شيء...»	٥٢
«ملكت فأسجح»	١٦

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، علي بن محمد:

الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

ابن الأزرق، محمد بن الأزرق الأندلسي:

بدائع السلك في طبائع المُلْك، تحقيق: د. محمد عبد الكريم، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

الأزهري، محمد بن أحمد الهروي:

تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، مصر، ١٩٦٤/١٩٦٧م.

أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو:

ديوان أبي الأسود، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط أولى ١٩٧٤م.

الأصبهاني، حمزة بن الحسن:

الدُّرّة الفاخرة في الأمثال السائرة، تحقيق: عبد المجيد قطامش، مصر، دار المعارف.

الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين:

الأغاني، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

الأصبهاني، محمد بن داود بن سليمان:

الزهرة، شيكاغو، المعهد الشرقي، تحقيق: لويس مايكل وطوقان، ١٣٣٥هـ.

www.mtenback.com

الأصبهاني: «العماد الأصبهاني»، محمد بن عبد الله:

فريدة القصر وخريدة العصر، القسم العراقي، بغداد، المجمع العلمي العراقي ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، تحقيق: محمد بهجة الأثري.

أعشى همدان:

ديوان أعشى همدان، تحقيق: د. حسن أبو ياسين، الرياض، دار العلوم ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الأنباري، القاسم بن محمد بن بشار:

شرح المفضليات، تحقيق: كارلوس لايل، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٢٠م.

البخاري، محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، طبعة مصورة عن طبعة إستنبول، دون تاريخ.

البكري: عبد الله بن عبد العزيز:

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د. إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، بيروت، دار الأمانة ودار الرسالة ١٣٩١هـ.

البيهقي: أحمد بن الحسين:

السنن الكبرى، طبعة مصورة، بيروت، دون تاريخ.

الترمذي، محمد بن عيسى:

سنن الترمذي، حمص، المطبعة الوطنية ١٩٦٥م، تحقيق: عزة عبيد الدعاس، طبعة بيروت، دار الكتب العلمية.

www.mtenback.com

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

ـــ ديوان أبي تمام، شرح: الخطيب، تحقيق: محمد عبده عزام، القـــاهرة، ١٩٦٤م.

ـــ الوحشيات، تحقيق: عبد العزيز الميمني ومحمود شـــاكر، مصـــر، دار المعارف ١٩٦٣م.

حافظ إبراهيم:

ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة، بيورت، د.ت.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله:

المستدرك على الصحيحين، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية، د.ت.

ابن أبي الحديد:

شـــرح نهـــج البلاغـــة، القـــاهرة، دار إحيـــاء الكتـــب العربيـــــة ١٣٨٥هـــ/١٩٦٥م.

ابن حزم الظاهري، علي بن حزم:

الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شـــاكر، القـــاهرة، مطبعـــة العاصمة ١٣٤٥هـــ.

حسان بن ثابت الأنصاري:

ديوان حسان بن ثابت، بيروت، دار بيروت ١٣٩٤هـــ/١٩٧٤م.

الدَّارمي، عبد الله بن عبد الرحمن:

سنن الدارمي، بعناية محمد أحمد دهمان، مصر، دار إحياء السنة النبوية، دون تاريخ.

أبو داود، سليمان بن الأشعث:

سنن أبي داود، تحقيـــق: محمد محيي الدين عبد الحميـــد، بـــيروت، دار الفكر، دون تاريخ.

www.mtenback.com

ديو رانت «ولْ – ديورانت»:

قصة الحضارة، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين، مصر، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٣م.

الردّادي «د. عايض الردّادي»:

الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر، جدة، مكتبة المدني ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الزبيدي، محمد المرتضى الحسيني الزبيدي:

تاج العروس، مصر، المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.

الزركلي، خير الدين الزركلي:

الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٦م.

الزمخشري، محمود بن عمر:

أساس البلاغة، بيروت، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

السجستاني، محمد بن عُزَير:

غريب القرآن، تحقيق: محمد أديب جمران، بيروت، دار قتيبة ١٤١٥هـ/١٩٨٣م.

السندويوني، وفاء:

شعر طيّئ، الرياض، دار العلوم، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر:

كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٧٧م.

الشريف الرضي، محمد بن الحسين:

ديوان الشريف الرضي، بيروت، دار صادر، دون تاريخ.

www.mtenback.com

الشنفرى الأزدي:

ديوانه وديوانا السليك وعمرو بن برّاق، إعداد وتقديم: طلال حرب، بيروت، دار صادر ١٩٩٦م.

شوقي، أحمد شوقي:

الشوقيات «ديوان أحمد شوقي، بيروت، دار العودة، طبعة مصورة عن طبعة القاهرة، دون تاريخ.

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن صاحب الصلاة:

تاريخ المنّ بالإمامة، تحقيق: عبد الهادي التازي، بيروت، دار الأندلس، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

صفدي «مطاع» وحاوي «إيليا»:

موسوعة الشعر العربي، بيروت، شركة خياط ١٩٧٤م.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل:

سبل السلام، تحقيق: خليل شيحا، الرياض، دار المؤيد، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

الضبي، عامر بن عمران:

كتاب الأمثال، دمشق، مجمع اللغة العربية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

الطبري، محمد بن جرير:

تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ.

الطهطاوي، رفاعة رافع:

سيرة الرسول، تحقيق: محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربي للدراسات، ١٩٧٧.

www.mtenback.com

ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد:

ـــ شعر ابن عبد ربه، جمع وتحقيق: د. محمد أديب جمـــران، الريـــاض، العبيكان، ١٣١٩هـــ/١٩٩٩م.

ـــ العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وزميليه، القـــاهرة، لجنـــة التـــأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٤هـــ/١٩٦٥م.

عبيد بن الأبرص:

ديوان عبيد بن الأبرص، بيروت، دار القلم، دون تاريخ.

العسقلاني، أحمد بن محمد بن حجر:

الإصابة في تمييز الصحابة، بغداد، مكتبة المثنى، طبعة مصورة عن الطبعة المصرية، ١٣٢٨هـــ.

العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله:

الأوائل، تحقيق: د. وليد قصاب ومحمد المصري، الريـــاض، دار العلوم، ط ثانية، ١٤٠١هـــ/١٩٨١م.

العكبري، أبو البقاء عبد الحسين:

إعراب لاميّة الشنفرى، تحقيق: محمد أديب جمران، بـــيروت، المكتـــب الإسلامي، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م.

عياض، القاضي عياض بن موسى:

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهـــب الإمـــام مـــالك، الرباط، ١٣٨٣هـــ/١٩٦٥م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد:

إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـــ.

www.mtenback.com

الغزالي، الشيخ محمد الغزالي:

خلق المسلم، الدوحة، مطابع قطر الوطنية، الطبعة التاسعة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

ابن الفُوَطي، عبد الرزاق بن محمد:

تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: د. مصطفى جواد، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٩٧م.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:

المغانم المطابة في معالم طابة، قسم المواضع، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري:

ـــ الشعر والشعراء، ليدن، مطبعة بريل ١٩٠٢م.

ـــ عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية.

ابن القيم، محمد بن قيم الجوزية:

زاد المعاد، بيروت، دون تاريخ.

ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمر:

ـــ البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، دون تاريخ.

ـــ تفسير القرآن العظيم، حلب، مكتبة التراث ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة:

سنن ابن ماجه، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء التراث.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب:

أدب القاضي، تحقيق: يحيى هلال السرحان، بغداد، مطبعة الإرشاد ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

www.mtenback.com

المباركفوري، صفي الدين:

الرحيق المختوم، الرياض، دار المؤيد ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

المبرد، محمد بن يزيد الثمالي:

ـ الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة، دار الكتب ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

ـ الكامل في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة المعارف، دون تاريخ.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين:

ديوان أبي الطيب بشرح الواحدي علي بن أحمد، برلين، ١٨٦١م.

المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن:

شرح الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

مسلم بن حجاج النيْسابوري:

صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر ١٣٩٨هـ.

مسلم بن الوليد «صريع الغواني»:

شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق: د. سامي الدهان، مصر، دار المعارف ١٩٨٥م.

ابن منصور، عبد الوهاب بن منصور:

مناقب أهل الصحراء، الرباط، المطبعة الملكية ١٩٧٥م.

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، القاهرة، تراثنا، دار الكتب، دون تاريخ.

www.mtenback.com

الميداني، أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، طبعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر ١٣٩٣هـ.

النابغة الذبياني:

ديوان النابغة، جمعه وشرحه: محمد الطاهر بن عاشور، الجزائر، تونس، الشركة التونسية، ١٩٧٦م.

ناجي، إبراهيم ناجي «الدكتور»:

ديوان إبراهيم ناجي، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣م.

النووي، يحيى بن شرف:

رياض الصالحين، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد دقاق، دمشق، دار المأمون.

ابن هشام الأنصاري، عبد الملك بن هشام:

السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وشلبي، بيروت، دار الكنوز الأدبية، دون تاريخ.

الوزير المغربي، الحسين بن علي:

أدب الخواص، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

أبو ياسين، د. حسن أبو ياسين:

شعر همدان في الجاهلية والإسلام، جمع وتحقيق، الرياض، دار العلوم، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

اليمني، يحيى بن أبي بكر:

الرياض المستطابة، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٩م.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com